يوحنا قمير

السّعادةُ آمرأة!

نوفل

www.alkottob.com

السعـادة امـرأة !

نيتشـه

www.alkottob.com

صورة الغلاف

صورة (لُوسالومه)، وهي الفتاة التي أحبّها نيتشه، وعرض عليها الزواج فأبت. ومن يدري؟ فقد يكون لعبارة نيتشه (السعادة امرأة)، عنوان هذا الكتاب، بهذا الرفض صلة!

www.alkottob.com

السّعادةُ امرأة!

يوحنا قمير

www.alkottob.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف

طبعة أولى

١٩٩٨

٩٩ شارع الصوراتي • بيروت • لبنان • فاكس ٣٥٤٣٩٤ (٠١)

تلفون ٣٥٤٨٩٨ (٠١) ٧٤٦١٣٠ (٠١) ٤٩٩٠٧٤ (٠١) ٣٥٣٥٠٨ (٠٣)

www.alkottob.com

أسعيدٌ أنتَ في دنياك؟
إن تكنْهُ فما الذي يُسعِدك؟
وإن لا فما الذي يحول دون سعادتك،
أو يعوزك؟
هدف هذا الكتاب هدايتك الى جواب،
يهديك فلاسفة، وحكماء،
وقد تهتدي بما اهتدى المؤلّف إليه
بعد طول عناء.
هذا كلُّ ما في هذا الكتاب،
وهو من أخطر ما جرى به يراع،
لأنّه يبغي إسعادك،
أسمى ما تصبو إليه، غاية الغايات، وأغلى الرغبات!

ي. ق.

www.alkottob.com

Lou Salomé in 1882, the year Nietzsche met her

سنة ١٨٨٢
لقي نيتشه لوسالومه

www.alkottob.com

سعادة الهندوسيّ

فناءٌ في الله!

www.alkottob.com

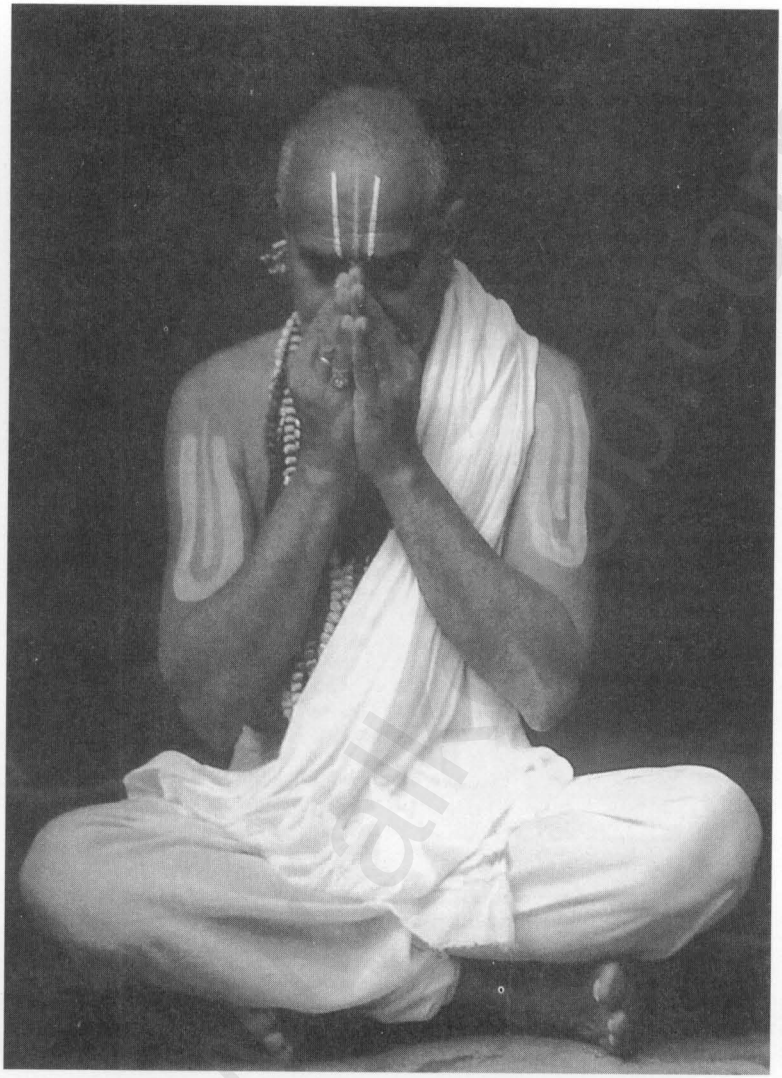

يوغيّ في تأمّل

www.alkottob.com

يؤمن الهندوسيّ في ما يؤمن به:

أ – بوحدة الوجود:

برهمن، أي اللّه، موجودٌ أوّل، واحدٌ أحد، أزليّ أبديّ.

وبرهمن قادر على كلِّ شيء، عالِم بكلِّ شيء، لامتناهي الكمال.

وبرهمن ما خلق الكون من لا شيء، ما قال له: كنْ فكان، بل تجلّى فيه: تجلّى في كلِّ موجود، في آلهة ثانويّين، وفي أرواح، صالحة أو شرّيرة، وفي نفس الكون الكلّية – ومنها نفس الانسان الجزئيّة – وفي الحيوان والنبات والجماد.

ماثلٌ برهمن في كلّ موجود، حاضرٌ في كلّ حيّ، عاملٌ فيه.

برهمن هو الرأس ونحن شَعره، وهو النار ونحن شررها، وهو الشمس ونحن أَشِعّتها، وهو البحر ونحن قطرات مائه.

ب – بطوائف خمس هي:

١ – **البراهمة:** أهل الدين والعلم، أهلُ العقل والنور والحكمة.

٢ – **المحاربون:** أهل الحكم، والحرب، والعدل، والنبلاء.

٣ – **العمّال:** الرعاة، والفلاّحون، والتجّار، والصناعيّون، وأهل المال.

٤ – **الخدم:** القائمون بخدمة الطوائف الثلاث السابقة، وتطغى فيهم الحواسّ.

www.alkottob.com

٥- **المنبوذون:** كانوا، في حياتهم السابقة أو الحاليّة، ينتسبون الى احدى الطوائف الأربع السابقة، ولكنّهم خرجوا على النـاموس خروجا فادحا، غير مألوف، فصاروا منبوذين[١] .

الولادة في هذه الطائفة، أو تلـك، لا تحـدث اتّفاقـا، بـل هـي نتيجة ما عمل الانسان، مـن خـير أو شـرّ، في تناسـخاته السـابقة، فلكلّ مولود طاقاته وميوله، وولادته في طائفة ما ناتجة من تفوّقه في ما تقوم به هذه الطائفة: يولد برهميّا، مثلا، إن تفوّق عقله، ويولـد خادما إن تفوّقت حواسه، وهكذا.

لكلّ طائفة واجبها الخاصّ، وعليها أن تقوم به، أيًّا تكنِ الصعاب.

يُمنَع التزواج بين طائفة وطائفة، وتندر التجاوزات.

وتُمنَع المؤاكلة كذلك، بل تُمنَـع طائفـة مـن أكـلِ مـا أعدّتـه طائفة دونها، ويأكل أيّ هندوسيّ مما يُعِدّه البرهميّ.

للطوائف الأربع الحقّ في ممارسة العبادات الدينيّة، وفي ممارسـة اليوغا، على أنواعها.

نظام الطوائف ضـروريّ، وزوالـه زوال النـاموس، والسـلالة، والخُلق، وتزول الثقافة القيديّة كلّها، إذا ما زال البراهمة.

ج - بناموسٍ يخضع له الكون، ويخضع الانسان، يخضع كلُّ عضوٍ لنـاموس طائفتـه. الخضـوع للنـاموس خـير، والخـروج عليـه شـرّ، والانسان حرّ، قادر على الخضوع والخروج.

---

(١) طالب غاندي بإلغاء المنبوذيّة، واستجيب، فلم يبقَ سوى طوائف أربع.

www.alkottob.com

د – **بشقاء** الانسان في هذا العالم، فهو يعاني الألم، والمرض، والهرم، والموت، وكلّ كوارث الدهر!...

هـ – **بالتناسخ**، بعودة النفس البشرّية، بعدالموت، الى جسد انسان أفضل، أو أسوأ، بل الى جسد حيوان، إذا ما قصّر صاحبها في التقيّد بناموس طائفته.

وهمّ الهندوسيّ الأكبر بلوغ النفس كمالها، عبر التناسخات، وعودتها الى مصدرها، الى اللّه، عودة قطرة الماء الى بحرها، ونجاتها من الولادات والشقاء.

و – **باليوغا الملكيّة**[1]، سبيل الهندوسيّ الفضلى الى الخلاص من التناسخ والشقاء.

ولليوغا مقامات ثمانية يتدرّج فيها الساعي الى خلاصه، وهي:

١ – **المناهي**: تنهى عن العنف[2]، والكذب، والسرقة، والبخل، ومجامعة النساء.

٢ – **الأوامر**: تأمر بالنظافة، والسكون، والدرس، والتقوى، واستواء الأضداد (الفقر كالغنى، والضعة كالمجد، والألم كاللذّة...)

٣ – ٤ – **الجلوس والتنفّس**، أفضل أنواع الجلوس، وضبط التنفّس، لكي يسهل على اليوغيّ التدرّج في المقامات التالية.

---

(١) اليوغا أنواع، واليوغا الملكيّة جامعة.

(٢) اللاعنف إحجام عن الإيذاء، وحبّ كلّ حيّ، وبه تقيّد غاندي في نضاله من أجل استقلال الهند، واستقلّت!

www.alkottob.com

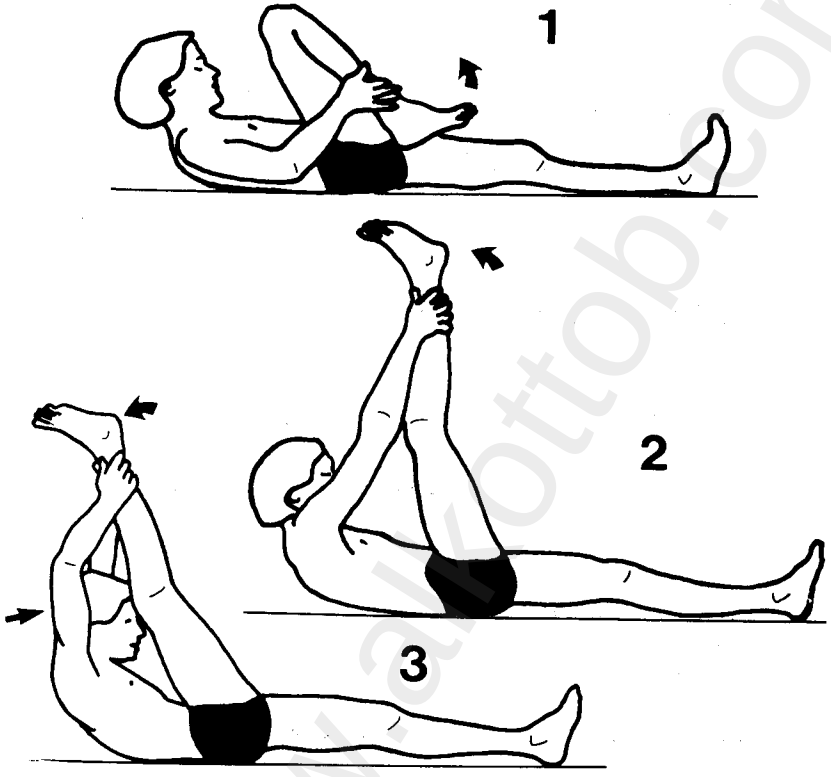

تمرينٌ يوغيّ

www.alkottob.com

٥- **انكفاء الحواس** الخمس عمّا يشغلها، ويشغل صاحبها، بالعالم الخارجيّ، لينصرف اليوغي بفكره الى عالمه الداخليّ.

٦- **التركيز** على فكرة واحدة ممّا يعرض لليوغي من أفكار، وحصر الانتباه بها.

٧- **التأمّل** في الفكرة، التي حصل التركيز عليها، استجلاء ما له بها من صلات.

٨- **الاستغراق** (Samâdhi): يتبيّن اليوغيّ اللّه في ما يفكّر فيه، ويتبيّن نفسه ذاتها في اللّه، فيبلغ كماله، ويجد سعادته: ينجو من التناسخ فلا يعود الى جسد جديد، بل الى اللّه، يلقاه لقاء الجدول البحر.

لا سعادة لليوغيّ الاّ في اللّه، يستغرق فيه، في الدنيا، ويعود اليه، ويفنى فيه، بعد الموت.

يرد الكلام على اليوغا في ثلاثة مصادر:

١- **الأنماط اليوغيّة** لمؤلّفها بتنجلي، الذي عاش في القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد.

٢- **الأوبنيشادات**، وهي نصوص شعريّة أو نثريّة، مجهولة المؤلّفين. الأوبنيشادات الأساسيّة أربع عشرة، وتجاوز عددها مع الأيّام المائتين.

٣- **نشيد المولى** (Bhagavad Gita): جزء يسير من بهاراتا الكبير، سبعمائة بيت من تسعين ألف بيت، أروج كتاب هندوسيّ من أكبر ملحمة.

وإليك نصوصا من الأوبنيشادات ونشيد المولى:

www.alkottob.com

١- برهمن والنفوس الفرديّة

٥ النفوس الفرديّة سجينة ما ينتابها، في هذا العالم، من هناء وشقاء.

خلاصُها من وطأة الوهم في معرفتها برهمن.

بهذه المعرفة ينجو الفرد من المرض، والهرم، والموت، ويسلم من خطر ولادة جديدة.

٦ تحصيل هذه المعرفة أمرٌ عسير،

ولكنّها الباخرة التي تمكّن من عبور نهر التناسخات.

يمكن الوصولُ اليها بألفِ طريق وطريق،

ولكنّها في الحقيقة واحدة، الملجأُ الأخير الذي ليس بعدَه ملجأ.

يسعى بعضهم اليها عن طريق الممارسات الطقسيّة، على ما تعلّم كتب الڤيده، فيقعون لغباوتهم في فخاخ الطقوس...

٧ لا، لا يسع الكتبَ أن ترفع النقاب عن برهمن،

عمّن به تظهر كلُّ الأشياء، من شمس العلاء الى أحقر جرَّة:

ذاك[١] طاهرٌ بذاته، وطبيعته الحقيقيّة تجوز كلَّ كلام،

---

(١) ذاك: إشارة الى برهمن ومرادف له.

www.alkottob.com

كلَّ أشكال الكلام، البشريّ والإلهيّ.

٨ ذاك لا يُقاس، وذاك لا يتحرّك، وذاك يستعصي على الدنس،

وذاك يستعصي على الألم، وذاك يفوق كلَّ واقع.

٩ ولكنَّ ذاك يتّسم بسمات الاثم والثواب،

إذا ما اتّخذ شكل النفس الفرديّة.

٢- اليوغا علم ونهج

١٤ سأقول لك كيف تتحرّر النفس من قيودها.

كيف يسع العلمَ أن يضمن تحرير النفس، إذا لم يقترن بممارسة اليوغا؟

وكيف تضمن الممارسة وحدها هذا التحرير، إذا لم تستند الى العلم؟

١٥ على الطالب اللبيب، إذا ما رغب في التحرّر، أن يسعى الى تحصيل العلم، وممارسة اليوغا ممارسة صحيحة، فالجهل سبب كلِّ شقاء،

١٦ والعلم وحده يحرِّر.

ونحصّل العلم أوّلاً بالتدرّب على الاستدلال المنطقيّ، فبالاستدلال نرى ما يصلح حقّا علمُه،

وبه نعرف أنّ موضوع العلم هو برهمن، العليُّ الأحد.

www.alkottob.com

١٧ ونرى برهمن، دون ريب، ربّا غير منقسم، بريئا من العيب،

موجودا، واعيا، سعيدا،

يجوز المحطّاتِ الكونيّة الثلاث،

ألخلق، والحفاظ على المخلوق، والزوال،

ويجوز كلَّ تجلٍّ وكلَّ علم!

اعرفْ هذا تستحقّ وحدك اسم العارف.

(أوبينشادة اليوغا الحقّ)

٣- برهمن والنفس

٥ (ذاك) ماثلٌ في كلِّ الأشياء

مثولَ العطر في الزهر،

والسمن في الحليب،

والزيت في السمسم، والذهب في التبر.

٦ والـنَّفسُ ماثلةٌ في الكائنات - في كلِّها، مهما كثرت - مثولَ السمط في اللآلىء.

هو برهمن أساسُ الفكر الخالص، والتفكير الواضح،

إذا ما هما عرفاه.

٧ أجل، النفس ماثلة في جسم الانسان

- في جسمٍ تحتويه، وتقطن فيه -

www.alkottob.com

مثولَ الزيت في الحبوب،

والعطر في الزهر.

٨ كثيرة غصون الشجر، والظلّ واحد.

(أوبينشادة التأمّل التّام)

٤- الفناء في برهمن

١٩ من تساوى في نظره كلُّ شيء استولى على الكون، وهو بعدُ هنا.

برهمن باقٍ هوَ هو، بريءٌ من العيب، موجودٌ في كلِّ مكان، ولذا يستقرّ (الحكيم) فيه.

٢٠ من لا يفرح بمحبوب، أو يحزن لمكروه، ويظلّ مستقرَّ العقل، سالما من الوهم، يعرف برهمن، ويستقرّ في برهمن.

٢١ اذا ما تحرّرت ذاتُ الانسان من الصلات الخارجيّة، وجد سعادته قائمة في الذات، اتّحدت ذاته ببرهمن، ونعمَ بالسعادة الأبديّة.

٢٢ لا يصدر سوى الألم عن كلّ ما تولّدُه الملامسات من لذّات.

للذّات بدايةٌ ونهاية، والانسان المستنير لا يجد فيها أيَّ متعة.

٢٣ من يسعه، وهو بعدُ هنا لّما يتحرّر من الجسد، أن يقاوم

www.alkottob.com

هيجان الشهوة والغضب، فهو المتّحد (باللّه)، والانسان السعيد.

٢٤ من وجد الغبطة الداخليّة، والفرح الداخليّ، والنور الداخليّ، فهو ذلك اليوغي، الذي صار برهمن، وفني فيه.

٢٥ يصل العارفون الى الفناء في برهمن، اذا ما امّحت خطاياهم، وتبدّدت الثنائيّات، وملكوا أنفسهم، وسُرُّوا بما يأتونه لخير المخلوقات.

٢٦ يجد المدرَّب، أنّى كان، الفناء في برهمن، اذا ما تحرّر من الشهوة والغضب، وضبط أفكاره، وحقّق ذاته.

(نشيد المولى: الفصل الخامس)

٥- اليوغا سبيل الاتّحاد باللّه

١٩ اذا ما ضبط اليوغي فكره، وزاول الاتّحاد بالذات، هدأَ هدوءَ مصباح في موضع لا ريح فيه.

٢٠ من انقطع عن التفكير، قطعَته مزوالةُ اليوغا، ومن رأى الذات بالذات، فألفى سلامه فيها،

٢١ ومن أدرك هذه الغبطة اللامتناهية، التي تحصل عن طريق العقل، لا عن طريق الحواس، وفيها أقام ثابتا حقّا،

٢٢ ومن حقّق هذا الكسب، الذي لا يفوقه أيُّ كسب،

www.alkottob.com

واستقرّ فيه، فهذا لن يقلقه الحزن، مهما فدح.

٢٣ علينا أن ندعو يوغا هذه النجاة من ربقة الألم، وعلينا أن نزاول اليوغا دون تردّد أو يأس.

٢٤ اهجرْ، ولا تستثنِ، كلَّ الشهوات، الصادرة عن نزعتنا الى الشهوة، واضبطْ بالفكر وحده قطيعَ الحواسّ، أنّى اتّجه.

٢٥ وتراجعْ رويدا رويدا مستعينا بالعقل الصبور، محدِّقا بفكرك الى الذات، غير مفكّرٍ في أيّ شيء.

٢٦ عدْ بالفكر المضطرب الحائر، عدْ به كلّما شردَ الى قبضة الذات.

٢٧ السعادة القصوى تغمرُ اليوغي، اذا ما بلغ فكرُه السلام التامّ، وسكن هواه، وتنزّه عن النقص، وصار برهمن.

٢٨ يثابر اليوغي على التأمّل متنزّها عن النقص، فيُحقّق بيسرٍ وصالَ برهمن، السعادةَ القصوى.

٢٩ من استقرّت ذاتُه في اليوغا، وتوحّدت نظرته أنّى كان، رأى الذات في كلِّ الكائنات، وكلَّ الكائنات في الذات.

٣٠ من يرَني في كلِّ مكان، ويرَ كلَّ شيء فيّ، لا أغيب عنه أبدا، ولا هو عنّي يغيب.

٣١ اذا ما استقرّ اليوغي في التوحيد، وعبدني في كلِّ الكائنات، حييَ فيَّ كيفما كانت حياتُه.

www.alkottob.com

٣٢ من تساوى في نظره الألـمُ واللـذّة تسـاويهما في الـذات فأنا أعدُّه أكملَ يوغي.

(نشيد المولى: الفصل السادس)

٦- حبيبي

١٣ حبيبي من لا يُعادي أحدا، ويُصادق، ويُشفق،
ويتنزّه عن مقولة (لي، وأنا)،
ويستوي واحدا في اللذّة والألم،
ويغفر، ويرفق.

١٤ وعزيزٌ عليّ حبيبي اليوغي، الراضي أبدا، الضابط لنفسه، ذو العزم الثابت، ومن يقف عليّ فكره، وعقله.

١٥ وعزيزٌ عليّ من لا يُقلِقُ العالَمَ، ولا العالم يقلقه، ومن خلص من الفرح والغضب، ومن الخوف والقلق.

١٦ وعزيزٌ علـيّ حبيـبي الـذي لا يتوقّـع شـيئا، وهـو طـاهر مـاهر، غـير مبـالٍ أو مهمـوم، مُحجِـم عـن كـلِّ مشـاريع الأعمال.

١٧ وعزيزٌ عليّ الهائم بحبّي، الذي لا يهلّل أو ينوح، لا ينفـر أو يميل،
والذي لا يبالي أيّ مبالاة بالسرّاء والضرّاء.

www.alkottob.com

١٨ وعزيزٌ عليّ من ساوى العدوّ بالصديق، والعزّ بالذلّ، والقرّ بالحرّ، واللذّة بالألم، وتحرّر من الصلات.

١٩ وعزيزٌ عليّ من هام بحبّي، وساوى الذمّ بالمدح، ولزم الصمت، ورضي عن كلِّ ما يحدث، وما استقرّ في منزل، بل فكره استقرّ.

٢٠ انّما أعزُّ أعزّائي حبيبي، الذي يؤمن بي هدفا أعلى، ويحفظ هذا الناموس الخالد، على ما جاء في وصفي له.

(نشيد المولى: الفصل الثاني عشر)

٧- الربّانيّ والشيطانيّ

١ الجرأة والنقاء، والثبات في المعرفة، واليوغا، والجود، والانضباط، والقربان، ومعرفة الذات، والتقشّف، والاستقامة،

٢ واللاعنف، والصدق، والإحجام عن الغضب، والزهد، والطمأنينة، والإغضاء عن العيوب، والرأفة بالكائنات، وغياب الشهوة، والوداعة، والحياءُ، والاتّزان،

٣ والعزمُ، والغفران، والصبر، والطهر، والسلامة من البغض والغرور: تلك هي سماتُ من وُلِد مُعَدّا لما هو ربّاني...

٧ لا يعرف الشيطانيّ ما العمل وما اللاعمل، وغريبٌ عنه الطهر، والصدق، والسلوك القويم.

www.alkottob.com

٨ لا ربَّ لهذا الكون، في نظره، ولا حقيقة، ولا أساس...

٩ ...يُقدِم على أعمالٍ شرسة، عدوانيّة، مدمِّراً ما في الكون...

١٢ هو أسيرُ آمالٍ وآمال، منقادٌ للغضب واللذّة، ساعٍ بوسائل غير مشروعة الى تكديس الثروة لإشباع الشهوة، والتمتّع باللذّة.

١٣-١٥ ضلّله الجهل فأخذ يقول:

ربحتُ اليوم هذا، وسأربح ما اشتهي؛ هذه ثروتي، وستزيد.

قتلتُ هذا العدوّ، وسأقتل أعداءً آخرين. أنا سيّد متمتّع.

أنا كامل، وقويّ، وسعيد.

غنيٌّ أنا، وشريف الحسب، فمن مثلي؟...

٢٠ يهوي هذا الضالّ الى رحمٍ شيطانيّة، ولادةً تلو ولادة: لا يصل اليّ، فيصير الى أحطّ حال.

(نشيد المولى: الفصل السادس عشر)

٨- كيف تصير برهمن

٥٠ أمّا كيف يصل الانسان الى برهمن نفسه، الى أعلى

www.alkottob.com

ذرى المعرفة، اذا ما وصل إلى ذلك الكمال، فاسْمعه منّي، في كلام وجيز:

٥١-٥٣ يسع الانسان أن يصير برهمن،

اذا ما طهر عقلُه فاتّحد وانضبط بقوّة الارادة، وزهد في المحسوسات، وسلم من الميل والنفور، وعاش في عزلة، واقتصد في الطعام، وضبط اللسان والجسد والفكر، وواظب على التأمّل اليوغيّ، وما خفق له فؤاد، وتحرّر من الأثرة، والشراسة، والكبرياء، والشهوة، والغضب، والأملاك، والشعور بالملك، واطمأنّ.

٥٤ واذا ما صار برهمن، واطمأنّت منه الذات، فسلم من الحزن والشهوة وتساوت لديه كلُّ الكائنات، حظي بأسمى حبٍّ لي.

٥٥ وبهذا الحبّ يعرفني حقّا، يعرف من أنا، وكيف أنا. واذا ما عرفني حقّا ولج حالاً في ذاك[1].

(نشيد المولى: الفصل الثامن عشر)

---

(١) أوجزنا كلّ الإيجاز ما عرضنا من كتب الهندوسيّة وعقائدها، ومن مقامات اليوغي، أوجزنا وأهملنا، فعُد الى كتابنا (الهند ان شدت وهدت)، اذا ما أردت الزيادات والتفاصيل والشروح.

www.alkottob.com

سعادة الهندوسيّ

رأينا موقف الهندوسيّ من السعادة، ولنا على هذا الموقف مآخذ نكتفي منها باثنين:

١- **يغالي** الهندوسيّ في وصف ما يشقي، ويغفل عمّا يسعد، يغالي في وصف الألم، والمرض والهرم...، ويغفل عن اللذّة، والصحّة، والشباب. انّه يرى أشواك الورود دون زهورها، وعلى حساب الزهور.

٢- **يحصر** الهندوسيّ سعادة الانسان بلقاء اللّه، يلقاه في الحياة، عن طريق الاستغراق فيه، ويعود اليه بعد الموت ليفنى فيه.

لقاء اللّه سعادة، أسعد السعادات، ولكنّ استغراق اليوغي، إن صحّ، نصيب نخبة قلّة، والفناء، بعد الموت، فناءُ النفس في اللّه، غيابُ وجودٍ شخصيّ مستقلّ، وتصبح حياتنا على الأرض حياة تعاسة وعذاب دون أن نعلم سبب التعاسة، أو يكون للعذاب مغزى ومآب!

التشاؤم طابع الهندوسيّة.

www.alkottob.com

سعادة بوذا (٥٦٠ - ٤٨٠)

النرفانة!

www.alkottob.com

بوذا معلّما

www.alkottob.com

أوحت الآلهة الى البراهمة، لـدى مولـد غوتامـا بـوذا[1]، وفي حضرة والده الملك، فأنشدوا:

"سبُل البشر ما عادت وعرة، والمخلوقات صارت سعيدة، فحامل السعادة قد وُلِد، وسيُنيرُ العالم.

العميان يُبصِرون، والصمّ يسمعون، والمجانين يعقلون، فقد وُلِد فاتح العيون، وفاتح الآذان، وفاتح العقول، وسيمنح العالَمَ البصر، والسمعَ، والعقل.

النسيم العابق بالطيب يسكّن أوجاع الكائنات، فقد ولِد الآسي، وسيشفي العالم."

النزهـات الأربـع

نشأ غوتاما في قصر أبيه، وكبر، وتزوّج، وكان له ابن.

وفي التاسعة والعشرين من عمره خرج الى زيارة حديقة، غـير بعيدة من القصر، خرج من الباب الشرقيّ، فـأبصر في طريقه رجلا هرما، ثقيل الخطى، ناحل الجسم، مجعَّد الوجه، ناتئ العروق، فـاغر الفم، أصلع الرأس... فاستغرب المنظر، واستقبح، وسأل السائق:

– من هذا الانسان؟

– انّه انسان هرم، وكلّ انسان، اذا ما تقدّم في العمر، أصبـح هدفا للضعف والنحول، غنيّا كان أو فقيرا، عظيما أو حقيرا.

---

(١) غوتاما اسمه، وبوذا وصفه، بعد أن أشرق عليه نور الخلاص.

www.alkottob.com

ولاح للأمير ما سوف يحلّ به، اذا ما طال عمره وهرم، فهان الشباب في نظره، وقفل الى قصره.

وعاودته الرغبة، بعد فترة، في زيارة حديقة أخرى، فأنف الخروج من الباب الشرقيّ لئلاّ يلقى ذلك الهرم، فخرج من الباب الجنوبي.

ولكنّ المنظر لم يكن أبهى، فقد أبصر رجلا منطرحا على قارعة الطريق يحاول الوقوف فيقع، ويسيل لعابه من فمه، وهو شاحب اللون، شاحب النظر، يئنّ وما من معين.

وسأل الأميرُ السائق:

– من هذا الرجل؟

– هذا مريض ساءت صحّته، ولا يسلم حيّ من المرض.

واضطرب الأمير، تخيّل نفسه مريضا يعاني ما يعاني ذلك الرجل، فهانت في نظره الصحّة، وقفل الى قصره.

وعاود الأميرُ الكرّة لثالث مرّة، خرج الى نزهة من الباب الغربيّ. ولكنّه لم يلبث أن رأى موكبا بأثواب الحداد، ورأى أربعة رجال يحملون جثّة، وأربعة أشخاص يتبعونها، ورأى آخرين يبكون.

وسأل الأميرُ السائق:

– ما هذا؟

– هذا ميت فقد عقله، وشعوره، وحواسّه، وصار كالعشب أو كالجماد، ما عاد يرى أهله، وإخوته، وأخواتِه وزوجته وأولاده، وهذا مآل كلّ انسان، ذلّ أو نبل، بل مآل كلّ حيّ.

www.alkottob.com

حزن الأمير حزنا عميقا، اذ سمع هذا الكلام، وعرف أنّه سيموت، فهانت في نظره الحياة، وكلُّ ما في الحياة من مباهج ولذّات، وقفل الى قصره.

انّما على الرغم من كلّ ما خبره غوتاما في نزهاته الثلاث فقد عاود الكرَّة لرابع مرّة، خرج الى إحدى الحدائق من الباب الشماليّ، فرأى راهبا قادما اليه[1]، وقد حلق رأسه، ولبس القميص الأصفر، وحمل عصا ناسك، وبدت إمارات الرحمة في عينيه.

وسأله الأمير:

- من أنت؟

- فكّرتُ في أسباب الألم، في الولادة، والهرم، والمرض، والموت، وأدركت أنّ الزوال طابع هذا العالم، فرغبت عن العالم، عن أهوائه ولذّاته، هجرتُه ولذت بالوحدة، أعيش في غابة أو على جبل، لا أملك شيئا ولا أسعى الى ملك، صدقاتُ الناس غذائي، والخير مرادي.

سمع الأمير هذا الكلام فرأى في سلوك هذا الناسك طريقا الى الخلاص من الألم.

وقرّر الأمير غوتاما الاقتداء بذاك الزاهد، ولم تنفع ممانعة والده، ولا حالت القصورُ وأسباب النعيم، وخلافةُ الوالد على العرش، فنهض في إحدى الليالي، ألقى نظرة أخيرة على زوجه وابنه، وامتطى جواده، وغادر القصر.

---

(١) هو راهب هندوسيّ.

www.alkottob.com

وبلغ إحدى الغابات، فترجّل، حلق شعر رأسه، واستبدل لباسا غليظا بلباسه النفيس، وتخلّى لمرافقه عن حلاه، وسار راهبا فقيرا يعيش من صدقات الناس.

بوذا

قضى غوتاما ست سنين زاهدا متأمّلا، باحثا عن طريق الخلاص من الألم.

وفي الخامسة والثلاثين من عمره، بينما هو جالس تحت تينة، أشرق عليه النور، رأى طريق الخلاص، فإذا هو بوذا، المستنير أو المستيقظ.

وهذه هي الطريق:

١- نضع سعادتنا في ما هو زائل.

٢- ويزول فنتألّم، ونشقى.

٣- والخلاص اذاً زهدٌ في كلِّ زائل، مساواة الأضداد: مساواة المرض بالصحّة، والهرم بالشباب، والموت بالحياة، ووصال الحبيب بهجره، وقرب البغيض ببعده، والعجز عن التمتّع باللذّة بالقدرة عليه.

٤- واذا ما قدرنا على ذلك، والانسان قادر، وصلنا الى حالة من الاطمئنان التامّ والدائم، وصلنا الى النرڤانة، الى السعادة.

٥- وتستمرّ سعادتنا بعد الموت، تستمرّ حالة النرڤانة، وننجو من التناسخ، من العودة الى عالم الألم والشقاء.

www.alkottob.com

خطبة بناراس

وقد عبّر عن نظرته تلك في خطبته الشهيرة، خطبة بناراس، حيث حدَّث رهبانا، قال:

"إليكم، أيّها الرهبان، الحقيقةَ العظمى في الألم:

الولادة ألم، والهرم ألم، والمرض ألم، والموت ألم.

قرب من نبغض ألم، وبعدُ من نحبّ ألم، والعجز عن نيل ما نشتهي ألم.

"وإليكم، أيّها الرهبان، الحقيقة العظمى في سبب الألم:

انّه الشهوة، المؤدّية الى ولادة جديدة، المتّصلة بنهم الهوى، الباحثة عن متعتها، تارة هنا، وتارة هناك.

انّه شهوة اللذّات الحسيّة، شهوة الوجود والصيرورة.

"وإليكم، أيّها الرهبان، الحقيقة العظمى في ملاشاة الألم:

نلاشيه بملاشاة تلك الشهوة، باستئصالها، بالعزوف عنها، بالزهد فيها، بالتحرّر منها، بالإقلاع عنها."

المناهي العشرة

قضى بوذا ما بقي من عمره يدعو الناس الى طريقته، ويستجيب التلاميذ.

وقرّر تأسيس رهبنة، وسمح للنساء بالترهّب.

www.alkottob.com

يُعنى الراهب بكماله الخاصّ، وكمال الآخرين، ويتقيّد الرهبان بمناهٍ عشرة هي:

١- لا تقتلْ

٢- لا تسرقْ

٣- لا تزنِ

٤- لا تكذبْ

٥- لا تشربْ مسكرا

٦- لا تأكلْ بعد الظهر (مكتفيا بوجبة واحدة قبل الظهر).

٧- لا ترقصْ، أو تسمعِ الموسيقى، أو ترِد المسارح.

٨- ارغبْ عن الزهور، والعطور، والأدهان.

٩- ارغبْ عن الفراش الوثير.

١٠- لا تملك ذهبا أو فضّة.

وأهمّ هذه المناهي العفّة والفقر.

سعادة بوذا

باين بوذا الهندوسيَّ، اذ حدّد السعادة، في أمرين خطيرين:

١- أهمل الكلام على اللّه، وعلى صلة السعادة به، فربط سعادة الانسان بصاحبها.

٢- آمن ببقاء النفس، بعد الموت، بقاءً ذاتيّا شخصيّا مستقلاّ.

انّما يبقى سؤال: ما سعادة النرڤانة؟ انّها سعادة سلبيّة، قائمة على غياب كلِّ شهوة، وكلّ ألم، قائمة على فراغ، فهل هي بعد

www.alkottob.com

سعادة، كلُّ ما نصبو اليه، ويسعنا الوصول؟ لا، لا يكفي غياب الرغبات لنسعد!

وتبقى طريقة الوصول الى النرڤانة، مساواة الأضداد، مساواة الألم باللذّة، والمرض بالصحّة، والهرم بالشباب، والموت بالحياة...، فهل هذه المساواة من الممكنات السائغاتَ، أم هي حلم، بل وهم؟

على انّ السعي الدؤوب الى مساواة الأضداد قد يخفّف من وطأة الشقاء، من حدّة الشعور بزوال ما هو زائل: زوال الصحّة، والشباب، والحبّ، والحياة الدنيا...

٣- وتحقيق النرڤانة يحول، في نظر بوذا، دون التناسخ، دون العودة الى حياة جديدة، وشقاء جديد، وهذا لا يُقنع من لا يؤمن بالتناسخ.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

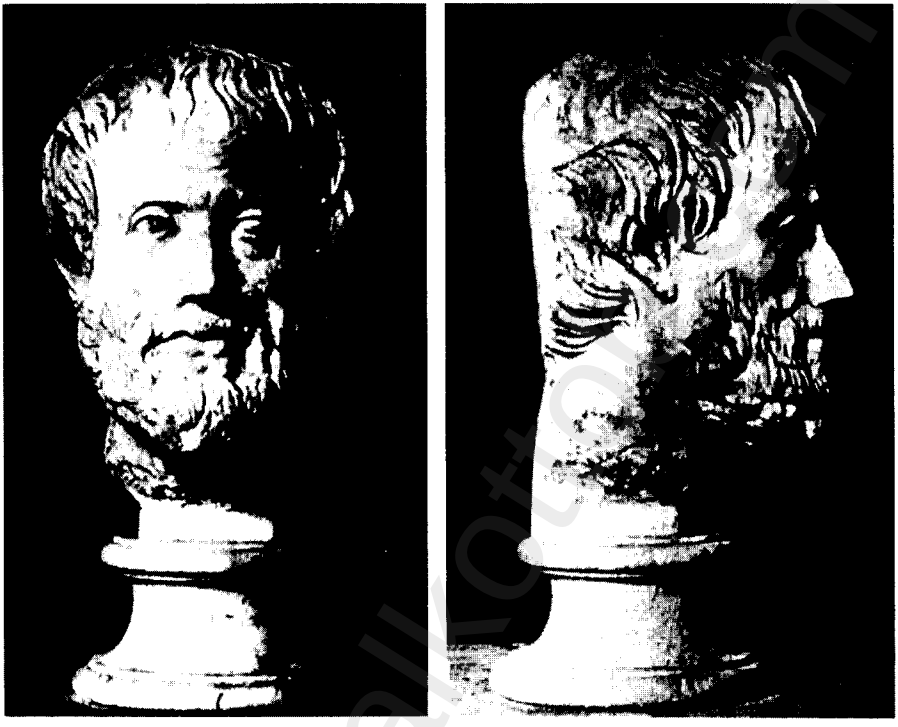

ARISTOTELE - Vienna, Museo di storia dell'arte (da Delbrueck, Antike Portäts)

سعادة أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢)

تأمّلُ حكيم

www.alkottob.com

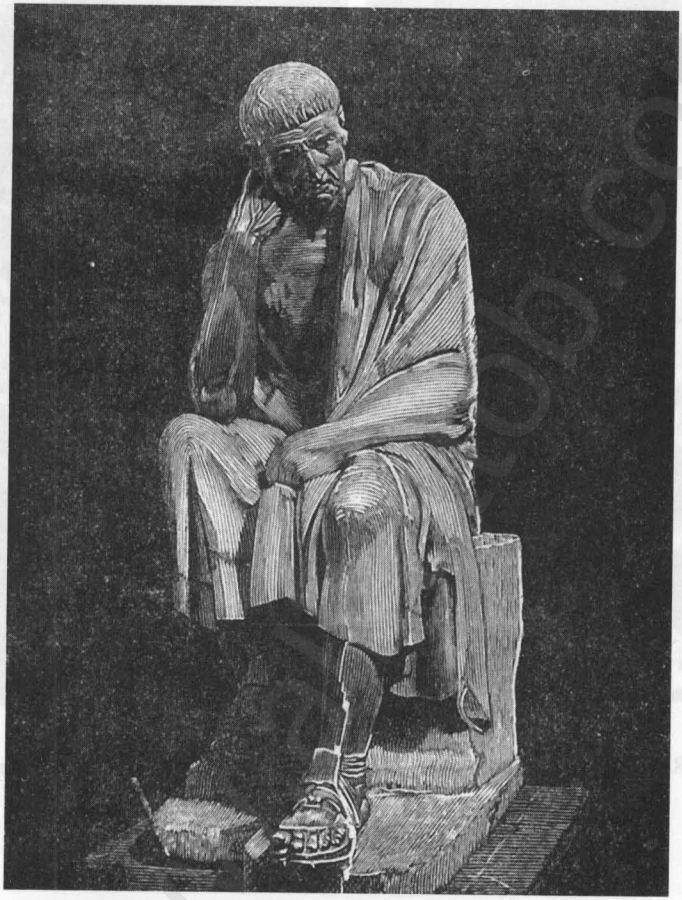

(Palais spado, à Rome)

أرسطو

www.alkottob.com

لأرسطو كتاب اسمه (الأخلاق الى نيقوماخوس)، ونيقوماخوس ابنه، أعزّ شخص يهديه الى السعادة، وصفوة ما قال له:

أ– السعادة **غاية الحياة**، غاية الغايات، لا وسيلة الى غاية أسمى.

ب– والسعادة **فعل**، لا قدرة، أكمل أفعال الانسان.

وأكملُ فعلٍ انسانيّ **فعل العقل**، ميزة الانسان كإنسان.

وأكمل أفعال العقل **التأمّل الفلسفيّ**، تأمّل الحكيم.

ولا تكون السعادة كاملة الاّ اذا كمل العلم بالعمل، اكتملت الفلسفة بالفضيلة، أو **الحكمة النظريّة بالحكمة العمليّة**.

ج– والفضيلة **وسط** بين طرفين رذيلتين: الشجاعة وسط بين الجبن والتهوّر، والجود وسط بين البخل والتبذير، وهكذا. طابع الفضيلة الاعتدال، ميزةُ الحكماء.

د– وللسعادة **لذّتها**: ليست السعادة في التمتّع بشتّى اللّذات، ولكنّ للفعل الانسانيّ الكامل لذّاته، لا لذّة خارجيّة يزدان بها كحلية، بل لذّة ذاتيّة يكتمل بها اكتمال الشباب بالنضارة والجمال.

هـ– وللسعادة **توابعها**: لا تستوي السعادة وتكتمل اذا لم يتحقّق لطالبها خيرات خارجيّة كالنسب الشريف، والصحّة، والجمال، والغنى، والأصدقاء، والنفوذ، والحظّ... هذه الخيرات ليست السعادة، بل توابع ملازمة ضروريّة.

www.alkottob.com

و– وعلى السعادة أن تكون **دائمة**، ثابتة مدى الحياة، فسنونو واحد لا يبشّر بالربيع، ولا يومُ صحوٍ واحد.

وان تحلَّ بالسعيد كوارث فهو قادر على الصبر عليها، يصبر بجود وكِبَر[1].

ز– والسعادة **نسبيّة**: السعادة الكاملة شأن النخبة، لا شأن كلّ الناس، وتصبح لكلّ انسان سعادته، سعادة متباينة، متفاوتة.

والسعادة الكاملة نفسها محدودة حدودَ الانسان.

***

وننقل لك أهمّ ما جاء في السعادة من كتاب (الأخلاق الى نيقوماخوس)، نختار نصوصا، ونضع لها عناوين:

السعادة أسمى خير

كلّ فنّ، وكلّ بحث عقليّ، وكلّ عمل، وكلّ خيارٍ حرّ، نزوعٌ الى خيرٍ ما. ولهذا يصحّ القول انّ الخير غاية كلِّ أفعالنا...

فإن كان لأفعالنا غاية نريدها لذاتها، ونريد كلّ ما سواها وسيلة إليها... فهذه الغاية هي الخير، أسمى خير...

واذا صحَّ هذا فعلينا أن نحاول تحديد هذه الغاية...: ما دام هدف كلِّ معرفة، وكلّ جهد، خيرا ما، فما هذا الخير، الخير الأسمى.؟

---

(١) الكِبَر: الاكتفاء بالذات، بالصفات الذاتية، والاستغناء عمّا هو خارجي (من مال ومجد).

www.alkottob.com

أسمى خير

انّ ثمّة إجماعاً على أنّه السعادة، دون اتّفاق على طبيعة هذه السعادة...، فهذا يراها في المرئي والملموس كاللّذة، والغنى، والعزّ...، وذاك يرى، إزاءَ تلك الخيرات كلّها، خيراً آخَر، خيرا في ذاته، غايةَ كلّ ما في تلك الخيرات من خير... فما هذا الخير؟

انّه يختلف من فعل الى فعل، ومن صناعة الى صناعة[1] ...، ولكنّ الخير الأسمى خيرٌ كامل. وإن تتعدّد الخيور الكاملة، فأكملها هو المطلوب...

الخير الكامل هو ما نختاره دائماً من أجله هو، لا من أجل خير آخر، وهذا هو السعادة. انّا نختار السعادة دائما من أجلها هي، لا من أجل سواها. انّا نختار العزّ، واللذّة، والعقل، وأيَّ كمالٍ آخر من أجلهم هم...، ومن أجل السعادة أيضا، ولا نختار السعادة من أجل هذه الخيرات، أو أيّ شيء آخَر...

فالسعادة اذاً أكمل شيء، وهي مكتفية بذاتها، غايةُ كلِّ أفعالنا.

توضيح السعادة

قد نتّفق على أنّ السعادة هي الخير الأسمى، انّما نتوق الى أن نعرف، بنوع أوضح، ما هي. ويسعنا بلوغ ذلك الغرض، اذا ما نظرنا الى وظيفته كانسان.

---

(١) هو بالنسبة الى الطبّ الصحّة، والى الحرب النصر، والى العمارة البيت...

www.alkottob.com

خيرُ عازف الناي، وتفوّقه، في كمال عمله، وكـذا النحّـات، وأيّ فنّان، بل كلّ ذي وظيفة، أو نشاط.

وكذا يبـدو الأمـر بالنسـبة الى الانسـان، إن تكـن لـه وظيفـة خاصّة به...

ليست وظيفته في الغذاء والنموّ...، أو في الإحسـاس المشـترك بينه وبين الحصان، والثور، وكلّ الحيوانات.

ويبقى لنا اذاً نوع من الحياة العقليّة.

ومن هذه الحياة ما هو خاضع للعقل، ومنها ما هو عقل قـائم بعمله...

واذا كانت وظيفة الانسان قيام النفس بعمل موافق للعقل، أو غير منافٍ له،

واذا كانت هذه الوظيفة واحـدة بنوعهـا، لا فـرق بـين عمـل عاديّ وعمل حسن...،

فخير الانسان قيام النفس بعمل مناسب لكمالها.

وإن تعدّدت أنواع الكمال فخيرٌ أحسنها وأكملها.

ويدوم ذلك مدى الحياة: سنونو واحـد لا يبشّـر بـالربيع، ولا يوم صحو واحد، وكذلك لا يكفـي يـوم واحـد، أو زمـن قصـير، للغبطة والسعادة.

لذّة السعادة

وحياةُ مثل هؤلاء البشر لذّة في ذاتها: الشـعور بـاللذّة إحـدى حـالات النفـس، وكـلّ انسـان يجـد لذّتـه في مـا يحـبّ...، يجدهـا

www.alkottob.com

العادل، مثلاً، في الأفعال العادلة، ومن يحبّ الكمال في الأفعال الكاملة...

وهكذا لا تحتاج حياة من يقومون بأعمال كاملة الى لذّة تأتي، وتلتصق بأعمالهم التصاق حلية للزينة، بل لذّتهم ذاتية... فكلّ ما نقوم به من أعمال كاملة مصدر لذّة...

فالسعادة اذاً أحسن شيء، وأجمل شيء، وألذّ شيء.

ضرورة الخيرات الخارجيّة

على أنّ الخيرات الخارجيّة ضروريّة، فمن المحال، أو العسير، الإجادة في العمل، اذا ما فاتتنا الوسائل، فكم من الأعمال نقوم بها، اذا ما أسعفنا عليها الأصدقاء، والغنى، والنفوذ السياسيّ...، أو النسب الشريف، والنسل الحسن، والجمال.

لا تكتمل سعادتنا، اذا ما طغا قبحنا، أو هان مولدنا، أو كنّا وحيدين في العالم لا أولاد لنا. وقد يكون الأمر أعسر، اذا كان لنا أولاد واصدقاء سيّئون، أو كانوا صالحين، ووافتهم المنيّة...

السعادة في ما تقوم به النفس من عمل كامل. أمّا الخيرات الأخرى فبعضها ملازم للسعادة، وبعضها مساعد، آلاتٌ طبيعيّة نافعة لتحقيقها.

السعادة مدى الحياة

جوهر السعادة الأعمال، ألّتي يقوم بها الانسان، على ما يقتضي الكمال...

www.alkottob.com

والانسان السعيد سعيد مدى الحياة. انّه يعمل دائما، او تقريبا دائما، يعمل ويفكّر على ما يقتضيه الكمال، ويحتمل احتمالَ الشرفاء كوارث الدهر... يتألّق الجمال الخُلقيّ، إن هو احتملها بهدوء، لا لأنّه خلوٌ من الإحساس، بل لأنّه جواد، كبير النفس.

السعادة كمال عقليّ خلقيّ

السعادة في قيام النفس بعمل كامل، تامّ الكمال.

فما هذا الكمال؟

المقصود هو الكمال الانسانيّ، كمال النفس، لا كمال الجسد، فالسعادة عمل النفس...

والكمال نوعان: عقليّ وخلقيّ. الأوّل نتيجة التعلّم، والمولد، والنموّ...، والثاني ثمرة السعادة.

انّا نفعل الشرّ طلبا للّذة، ونحجم عن الخير اتّقاء للألم...

فان تكن الفضيلة صفة أفعالنا وأهوائنا، وإن يقترنْ كلّ فعل أو هوى باللّذة أو الألم، تصبح اللّذات والآلام متّصلة بموضوع الكمال...

على كمال الانسان أن يكون استعدادا يجعله صالحا، ويجعل أعماله صالحة...

وكماله الخلقيّ كمال أهوائه وأفعاله.

الفضيلة وسط

وهذه الأفعال والأهواء للزيادة، والنقصان، والاعتدال...

www.alkottob.com

الفضيلة وسط بين طرفين رذيلتين... الشجاعة وسط بين الخوف والجرأة، بين التهوّر والجبن. والجود اعتدال، والطرفان البخل والتبذير...

الكمال الخلقيّ اعتدال، وسط بين رذيلتين، بين الزيادة والنقصان.

سعادة أرسطو

السعيد، في نظر أرسطو:

١- فيلسوف فاضل،

٢- شريف النسب، صحيح الجسم، جميل، غنيّ، قويّ، محظوظ،

٣- سعيد مدى الحياة،

٤- كبير النفس، صبور على كوارث الدهر.

فكم من البشر يسعد بكلّ هذه الصفات، أو تجتمع كلّها لديه؟

انّ ارسطو الواقعيّ يغالي، يشطّ عن واقعيّته، يتصوّر سعيدا غير موجود، أو نادر الوجود، ويشقى الباقون الأكثرون!

أتفاؤلٌ هذا أم تشاؤم بكساء تفاؤل شفّاف؟!

ولكنّنا على الرغم من هذه المغالاة في المثاليّة، نظلّ مدينين لأرسطو بإيلائه الفلسفة والفضيلة، الحقّ والخير، الدور الأساسي في سعادة الانسان.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

سعادة ابيقورس (٣٤١ - ٢٧٠)

لذّات طبيعيّة ضروريّة

www.alkottob.com

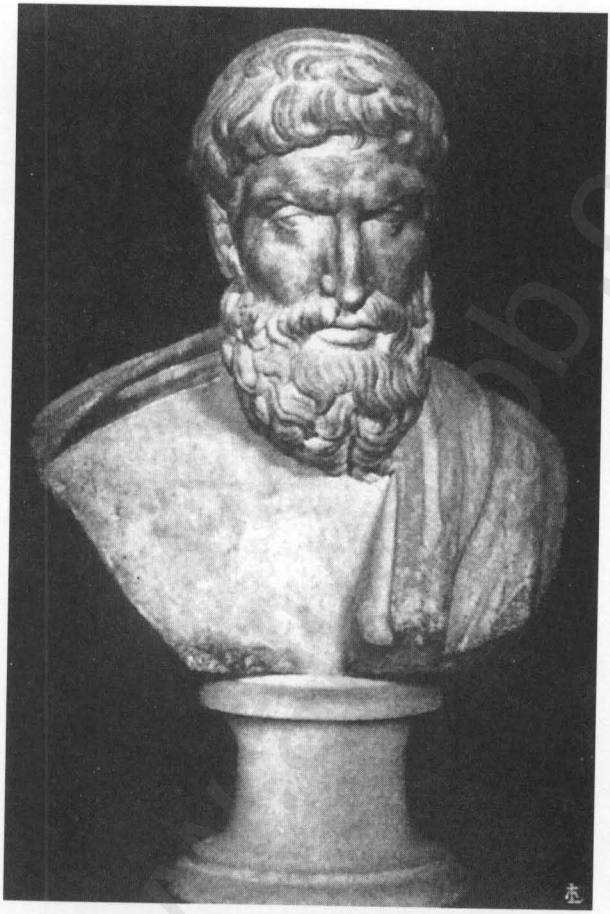

Epicuro - Roma, Museo Capitolino

ابيقورس

www.alkottob.com

ولد ابيقورس في أثينا، وعلّم في حديقة يحفّ به أصدقاء، رجال ونساء، والصداقة كالعلم هدف.

أشاد لوكراسيوس (٩٨-٥٥) بابيقورس، قال:

"انّه أوّل من استطاع تفجير ذاك النور الساطع من أعماق الظلام الدامس، وهدايتنا الى خيرات الحياة الصحيحة...

لقد كان إلها، أجل الهاً كان... ذاك الذي وجَد، أوّل من وجد، ذلك النظام لحياتنا، الذي ندعوه الحكمة."

لابيقورس مؤلّفات كثيرة لم يبقَ منها سوى عناوين، وبعض كلمات رواها عنه تابعوه.

وخلاصة مذهبه:

أ- سعادة الانسان لذّاته: السعي اليها طبيعيّ، وهدف كلّ حيّ.

ب- انّما ليست كلّ اللّذات سواء: ليست السعادة في معاقرة الخمرة وإطالة الولائم الشهيّة السخيّة، أو في معاهرة الغلمان والنساء.

ج- اللّذات ثلاثة أنواع: لذّات طبيعيّة ضروريّة كالأكل والشرب، ولذّات طبيعيّة غير ضروريّة كالأطعمة الفاخرة، والخمور النادرة، ولذّات غير طبيعيّة وغير ضروريّة كالبذخ في العيش، واحتلال الممالك، والحصول على التيجان والتماثيل.

والحكيم يُقدِم على النوع الأوّل، ويحجم عن النوع الثالث، ويقدم على النوع الثاني أو يحجم مجاراة لما يشير به العقل.

www.alkottob.com

د– والحكيم لا يقدم على لذّة يعقبها ألم، أو يحجم عن ألم يؤدّي الى لذّة. انّه يقوم بحساب دقيق، يوازن بين اللذّة والألم، ويؤثر ما تربو لذّته.

هـ– وليس قدر الحياة في طولها، بل في ما نجنيه من لذّاتها. انّك لا تأتي الحياة مرّتين، فعشْ يومَك، أو كما يقول الشاعر العربيّ:

تمتّعْ من شميم عرار نجد فما بعدَ العشيّة من عرار!

و– والحكيم الذي مارس الفلسفة منذ صباه:

١– **لا يخشى الألم:** فادحه عابر، وطويله يُطاق،

بل يلجأ الى **الذاكرة والخيال:** يذكر، اذا ما عانى ألما، لذّاتٍ ماضية، أو يتوقّع لذّات آتية.

٢– لا **يخشى الآلهة** فهي مشغولة عن البشر بسعادتها، والنفس فانية.

٣– لا **يخاف الموت**، فالموت لا شيء: "ما دمتُ موجودا فهو غير موجود، واذا ما كان لن أكون".

٤– لا **يُعنى بالسياسة**، والشأن العام.

٥– **يخلو بنفسه**، وإن تحفّ به الجموع.

٦– يؤثر **الوحدة:** عشْ وحيدا تعِشْ سعيدا. انّما الحكيم مصرٌّ على معايشة اصدقاء، وأبيقورس جعل من حديقته ملتقى اصدقائه.

٧– **يقتصد في المعاش:** بعض الفقر غنى، والغنى الفاحش فقر. نمْ مطمئنّا على الحصير، ولا قلِقا على فراش وثير.

www.alkottob.com

٨- يرغب عن **العشق**، والزواج، والولد.

٩- يحرص على **حرّيّته**: لا يؤمن بالقدَر، ويأبى أن يكون سيّدا أو عبدا.

ز- همّ الأبيقوريّ الخلوّ من أيّ همّ، ولذّته المنشودة حصول الجسد على الضروريّ للعيش، وسلامة النفس من أيّ قلق. الطبيعة تهديه الى ما يحتاج إليه، والحكمة تقيه كلَّ الحماقات.

لا يدعو ابيقورس الى التمتّع بكلِّ ما نقدر عليه من لذّات، كما شاع عنه، بل بالقدْر الكافي لحياة الجسد، وسلامة النفس من كلّ همّ، فنحيا حياة هادئة، مطمئنّة، سعيدة.

وابيقورس نعمَ بقدر كبير من هذه السعادة، على الرغم ممّا ألمّ به من أمراض، وعاناه من آلام.

وإليك الآن بعض أقواله على ما رواها عنه تابعوه:

• عندما نقول انّ اللّذة هي الخير الأسمى لا نعني، في أيّ حال، لذّات الفجّار أو ملاذ الجسد، حسبما يدّعي بعضهم جهلا، أو حسدا، وانّما نعني غياب كلِّ عناء جسديّ، وكلّ قلق في النفس.

ليست لذّة الحياة في الإدمان على الشراب، أو بهجة الولائم الطويلة، أو معاهرة الغلمان والنساء، أو أكلِ الأسماك، وأطايب الأطعمة، والمائدة السخيّة.

• مبدأ كلِّ خير وأصله حالة البطن الجيّدة، وكلّ ما سوى ذلك من حكمة وثقافة نوافل، وسائل الى هذا الخير الأوّل.

www.alkottob.com

• نقول انّ اللّذة بدءُ الحياة السعيدة وغايتها، فهي أوّل الخيرات الطبيعيّة، منها ننطلق لنقبل ما نقبل من الأمور، أو لنهرب منه، وإليها نصل عندما نتّخذ من الإحساس سبيلا الى الخير.

• لو كانت لذّات الفجّار قادرة على حمايتنا من الأحداث الجوّية، ومن الموت والألم، قادرة على إفهامنا حدود شهواتنا، لما حقّ لنا أن نلومهم، اذا ما انغمسوا في اللّذّة، لا يشعرون بألم، أو همّ.

• دليل ابيقورس على أنّ اللذّة هي الخير الأسمى سعيُ كلِّ حيّ، منذ ولادته، الى اللذّة، وهربه من الألم، وذلك نزعة طبيعيّة فيه، لا ثمرة دليل.

• علينا أن نستخفّ بكلّ ألم: الفادح منه عابر، وما يدوم يُطاق.

• ما تحدّثت أبداً، اثناء مرضي، عن آلامي الجسديّة...، ما كنت أبالي بما يدّعيه الأطبّاء من قدرة. وكنت أقضي حياتي سعيدا وقورا.

• على الحكيم أن يخلو بنفسه، لا سيّما اذا ما اضطُرّ الى مخاطبة الجموع.

• اللذّة خيرنا الأوّل، والطبيعيّ، ولذا لسنا نسعى الى أيّ نوع من اللذّات. نهمل أحياناً لذّات كثيرة إن تُسبِّب لنا ضررا أفدح. ونؤثر كذلك آلاما كثيرة، اذا ما كان الصبر الطويل عليها يؤدّي الى لذّة أمتع.

www.alkottob.com

كلّ لذّة خير في ذاتها، وإن لم يجب السعي الى كلّ لذّة. وكلّ ألم شرّ، وإن لم يجب تجنّب كلّ ألم.

• من الشهوات ما هو طبيعيّ وضروريّ، ومنها ما هو طبيعيّ غير ضروريّ، ومنها ما ليس طبيعيّا أو ضروريّا.

• الفقر، الذي لا يتجاوز ما تحتاج اليه طبيعتنا، غنى، والغنى الفاحش فقر مدقع.

• يطلب الجسد، دون هوادة، ألاّ يموت من الجوع، أو العطش، أو البرد. من هو في مأمن من هذه البلايا، ويأمل في استمرار هذا الوضع، يضارع زوش هناء.

• أفرح بلذّاتي الجسديّة، اذا ما كان غذائي خبزا وماء. وإن احتقر اللذّات فلست احتقرها لذاتها، بل لما يعقبها من آلام.

خيرٌ لك أن تحيا مطمئنّا، وتنام على الحصير، من أن تحيا قلقا، وتنام على فراش من ذهب.

• اللّه غير مخيف، والموت لا شيء، والخير سهل المنال، والألم سهل الاحتمال.

• على الشاب ألاّ يتردّد في تعاطي الفلسفة، وعلى الطاعن في السنّ ألاّ يتعب من تعاطيها.

سبب البلايا البشريّة البغض، والحسد، والهوان، وبعقله يتسامى عليها الحكيم...

لا يتّصل الحكيم بامرأة، اذا ما حرَّم ذلك القانون...

على الحكيم ألاّ يصبح عاشقا، أو يهمّه قبره...

www.alkottob.com

ليس الحبّ هبة إلهيّة... التعاطي الجسدي غير نافع، وسعيدٌ السليم من أذاه...

الحكيم لا يتزوّج، ولا يلد... ولا يتعاطى السياسة.

• عشْ وحيدا تعشْ سعيدا...، انّما عشْ بصحبة اصدقاء.

• اكتفاء الانسان بنفسه أضخم ثروة.

• كتب ابيقورس، على فراش النزع، إلى أحد تلامذته:

أكتب لك هذه الرسالة في آخرِ أيّامي، وهو يوم سعيد.

بطني وكلوتاي يُسبّبان لي آلاما لا توصف، ولكن ما أشعر به من فرح، اذ أذكر مناقشاتنا، يعوّض عنها.

• يشعر الناظر من اليابسة بالهناء، اذا ما عصفت الرياح بالأمواج في عرض البحر، ورأى عناء المسافرين، لا لأن ألم انسان لذّة كبيرة، بل لأنّ نجاة المشاهد من مثل ذلك الشرّ وضع هنيء.

ويشعر الناظر بالهناء ايضا، اذا ما اصطفّ المتحاربون في ساحة الحرب، واحتدمت المعارك، وكان هو في منأى عن الخطر.

انّما لا أدعى الى الهناء من سكنى ذرى تحصّنت بعلم الحكماء، من سكنى مناطق هادئة يمكن إلقاء النظر منها على الآخرين، ورؤيتهم تائهين في كلّ اتّجاه، باحثين، كيفما اتّفق، عن طريق الحياة، متنافسين في الذكاء، وفي مجد المولد، جادّين، في الليل وفي النهار، جدّا فريدا لكي يُثروا كلَّ اثراء، أو يستولوا على السلطة. يا لتعاسة العقول البشرية، يا لعمى القلوب! بأيّ ظلمات، وبأي أخطار، تمرّ هنيهاتُ الحياة تلك! ألا تسمعون صرخة

www.alkottob.com

الطبيعة؟ أهي تطالب بأكثر من غياب الألم الجسديّ، والشعور بهناء الروح، بهناء خلوٍ من القلق والخوف؟

سعادة ابيقورس

سعادة ابيقورس لذّة:

١- قانعة بالسلامة من الجوع والعطش والبرد، بما يكفي لبقاء الحياة الفرديّة.

٢- مستغنية بالأصدقاء عن الحبّ، والزوج، والولد، والثروة، والمجد، والسلطة.

٣- غير مبالية بالألم، والموت، والآلهة.

ونرى:

١- انّ هذه اللذّة القانعة لذّة فقيرة، مقتصرة على ضرورات الحياة، أو تكاد، مقصّرة عمّا يطمح اليه الانسان في مجالات الحقّ، والجمال، والتفوّق، زاهدة في بقاء النوع البشري نفسه. لا يكفي غياب الألم لنكون سعداء.

٢- انّ ابيقورس يغالي في قدرة الانسان على اللامبالاة بالألم والموت، فالألم يقضي على اللذّة وسعادتها، ما دام قائما، والموت يقضي على كلّ لذّة قضاء نهائيّا.

لذّات ابيقورس محدودة في ما تطمح اليه، واهمة في قدرة صاحبها على تجاوز ما يقضي عليها، تجاوز الألم والموت.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

سعادة زينون (٣٦٦؟ - ٢١٤؟)

جارِ الطبيعة... تسعد!

www.alkottob.com

ابقتاتوس

* لم يجد المؤلّف صورة لزينون الصوريّ، فأحلَّ محلّها صورة تلميذه ابقتاتوس.

www.alkottob.com

زينون فينيقيّ صوريّ، ويُعرَف في الغرب بزينون الكتيوميّ (De Kitium). وكتيوم هذه مدينة قبرصيّة[1] تعايش فيها فينيقيّون ويونانيّون وفيها ولِد زينون، وشبّ.

الى اثينة

وكان والد زينون تاجرا، وكان يحمل بضاعته الى أثينة، يبيع فيها ما يبيع، ويعود حاملا "كتبا سقراطيّة" يقرأها، ويقرأ زينون.

وزاول زينون مهنة أبيه، وأمَّ أثينة أيضا، فاذا به يرغب عن التجارة، ويُقبل على درس الفلسفة.

قضى تسع سنين تلميذا لاقراطيس (Cratès) الكلبيّ (Cynique)، الذي كان يدعوه "الفينيقيَّ الصغير". وما كان صغيرا، بل طويل، نحيل الجسم، أسمر اللون. وتميّز لاحقا بجبّةٍ طويلة أصحبت لباس أتباعه.

ويفارق زينون استاذه، ويتنقّل، على مدى عشرين سنة، من استاذ الى أستاذ، ويطالع كتب الفلاسفة، ويفكّر في كلّ ما سمع وقرأ، وتتكوّن لديه فلسفة، فاذا التلميذ معلّم، يعلّم في الرواق، ويُعرَف مذهبه بالرواقيّة (Stoïcisme)[2].

مؤلّفاته

لزينون مؤلّفات كثيرة، له: مأثورات اقراطيس - الكائن - الجمهوريّة - الأخلاق - الحياة الطبيعيّة - الغريزة أو الطبيعة

---

(١) وتُدعى اليوم لارنكا.

(٢) Stoïcisme من Stoa: الرواق.

www.alkottob.com

البشريّة – الأهـواء – الواجـب – الكـلّ – العلامـات – البصـر – الثقافة اليونانيّة – الفيثاغوريّون – الكليّات – الإلقاء – الفنّ – فنّ الحبّ – خمس مسائل هوميرسيّة – السماع الشعريّ – حلـول – تفنيدان.

لم يصل إلينا من كلّ هذه المؤلّفات سوى عناوينهـا، وبعـض كلمات تناقلها تابعوه، أو استشهد بها خصومه.

تلامذته

انتشرت الرواقيّة، ويُقسم تاريخها الى ثلاث مراحل:

١- **الرواقيّة القديمة:** من زينون الى أقريسـيبيوس (Chrysippe) (٢٨٢-٢٠٩).

٢- **الرواقيّة الوسطى:** مـن ديوجـين البـابليّ (٢٤٠-١٥٠) الى بوسيدونيوس السوريّ (١٣٥-٥)، وبينهما شيشرون (١٠٦-٤٣)، وهوراس (٦٥-٨).

٣- **الرواقيّـة الامبراطوريـة**، المتمثّلـة بسـنيكا (٤ ق.م.-٦٥ ب.م.) وابّقتـاتوس (٥٠-١٣٠)، والامـبراطور الرومـاني مرقـس اوراليوس (١٢١-١٨٠). وكثيرٌ من تـأثّروا بالرواقيّـة بعـد ذلـك، حتّى أيّامنا.

شهرته

اشتهر زينون في حياته، وكرّم بعد موته: كرّمته اثينا بتاج من الذهب، وببناء قبره، وبتمثالٍ من البرونز، وأقامت له كلٌّ من صور وكتيوم تمثالا.

www.alkottob.com

مذهبه

ونصل الى مذهب زينون، الى رأيه في السعادة، وهذه خلاصته:

أ- الطبيعة معقولة: الكون وحدة متماسكة تماسكَ أهل الأرض، خاضعة لنظام دقيق، لإلهٍ، أو عقلٍ كلّي، أو قدَر - والنتيجة واحدة - فكلّ ما يجري في الطبيعة معقول، وبالتالي حسن.

ب- ما يجري في الطبيعة نوعان: الأوّل ما هو رهنُ ارادتنا كالرأي، والرغبة، والكراهية، كلُّ ما هو عملنا، والثاني ما ليس لنا عليه يد كالجسد، والغنى، والشهرة، والمراكز، كلُّ ما ليس عملنا.

وموقف الحكيم متباين:

انّه يسلّم راضيا بكلِّ ما ليس عملنا تسليمَ مؤمنٍ بصلاحه، بعناية اللّه أو تنظيم العقل، أو قضاء القدَر، أو الطبيعة العاقلة.

أمّا ما هو عملنا فنوعان: مجارٍ للطبيعة، ومخالف. فالمجاري يتقيّد به الحكيم، ويفعله، والمخالف يُحجم عنه.

ج- تساوي الأضداد: يرضى الحكيم عن كلِّ ما يجري في الطبيعة ممّا لا يعود اليه أمره، يساوي بين الأضداد، فسيّان لديه المرض والصحّة، الفقر والغنى، الخمول والشهرة، الموت والحياة..، لأنّ كلَّ ذلك مقدَّر، طبيعيّ، معقول.

على الحكيم أن يقبل طوعا ما يحلّ به كرها، أن يرضى عن مساوئ الطبيعة رضاه عن محاسنها، لا أن يحاول عبثا النجاة.

www.alkottob.com

لا يخاف الحكيم، أو يحزن، او يأسف. اذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما هو كائن تعشْ هادئا، مطمئنّا، سعيدا... تحصلْ على كلِّ ما تريد.

ويحدّد آميل براهيه مذهب زينون الرواقيّ، يقول:

"كلّ ما يحدث فبفعل العقل الكليّ، بإرادة اللّه، أو القدَر، ويقتصر المطلوب اذاً على موقف الإرادة الداخليّ، على إذعانها للقدَر.

يحاول العقل الضالّ مقاومة القدَر، يؤثر على الخير العام خيره الخاصّ، يؤثر الصحّة، والغنى، والعزّة.

أمّا الحكيم فيفكّر، ويرضى بالأحداث المقدَّرة.

الشرّير يخضع للقوّة، والحكيم يسير بإرادته.

يعرف الحكيم، مثلا، أنّ القدَر يريده أبتر، أو فقيرا، فيرضى بفقره وبتره، ويقول سنيكا: "لا أخضع للّه، بل أوافق على قراره."

خضوع الرواقيّ ليس الإذعان قهرا لما لا بدَّ منه، بل رضىً إيجابيّ، فرحٌ بالعالم كما هو.

على ارادتنا أن تنسجم مع الأحداث، أن ترضى بكل ما يطرأ منها.

مثالُ الرواقيّ الأعلى واحد: مجاراة الطبيعة، أو العقل، أو اللّه."[1]

---

(١) آميل براهيه: تاريخ الفلسفة، باريس، ١٩٢٦: ص.٣٢٦.

www.alkottob.com

د- صعوبة المذهب: انّما لا يستسهلنّ أحدٌ سلوك الرواقيّة، فهي مثال أعلى نطمح الى تحقيقه، وقد تنجح نخبة، أو لا أحد. انّما الأفضل أن نظلّ نسعى، ونتقدّم على قدر ما تسمح الطاقات.

هـ- الدورات الأبديّة: هدف الانسان السعادة، أمّا ككلّ فلا هدف له: انّه يسير، ويعود، في دورات متجدّدة، لا فرق بين دورة ودورة، الى ما لا نهاية له.

***

انتهينا من عرض ما علّم زينون في مبادئه الأساسيّة، وننقل لك أهمّ ما جاء في ملخّص (Manuel) ابّقتاتوس (٥٠-١٣٠)[٢] لترى مبادئ الرواقيّة في نصوص، وترى كيف تجسّدت تلك المبادئ في أبرز مظاهر الحياة.

الملخّص حوالى أربعين صفحة، وثلاثة وخمسون عنوانا، وننقل منها العناوين التالية:

---

(٢) ابقتاتوس أهمّ رواقيّ، في العهد الرومانيّ الأمبراطوريّ، وقد يكون أكبر رواقيّ بعد زينون.

انه أسيويّ جيءَ به من رومة كعبد - وهذا معنى اسمه - حيث تعلّم الرواقيّة على أحد اساتذتها.

وكان قد نُفي من رومة، سنة ٩٣، في من نُفي من الفلاسفة، فأقام مدرسة في منفاه، وتتلمذ عليه كثيرون.

لم يؤلّف ابقتاتوس كتباً، شأنه سقراط قبله، وأفلوطين بعده. هو أحد تلامذته الأسيويّين، الذي جمع ما علّم في كتاب ضخم دعاه محادثات (Entretiens)، ثمّ اقتبس منه أهمّ ما فيه في ملخّص (Manuel).

www.alkottob.com

١- ما يعود إلينا أمره وما لا يعود

ما يعود إلينا امرُه الرأي، والإرادة، والرغبة، والكراهية، كلُّ ما هو عملنا. وما لا يعود: الجسد، والغنى، والشهرة، والمراكز، كلُّ ما ليس عملنا.

٢- الرغبة والكراهية

غاية الرغبة انتظار المرغوب فيه، وغاية الكراهية اتّقاء ما ننفر منه.

تعيسٌ من لا يحصل على ما يرغب فيه، شقيّ من يقع في ما يكره.

لا تبغض سوى ما يخالف الطبيعة ممّا يعود أمرُه إليك، فلا تقعُ في ما تهرب منه.

أمّا اذا خفتَ المرض، أو الموت، أو الفقر، فمصيرك التعاسة.

لا تكرهْ أيَّ شيء ممّا لا يعود أمره اليك، بل اكرهْ كلّ ما هو رهن ارادتنا، ويخالف الطبيعة.

٣- لائمْ بين ما تهوى وطبيعة الأشياء

لا تنسَ أن تتبصّر في كلِّ ما يستهويك، في ما يقضي حاجاتك، أو انت تحبّه...

إن تحبَّ إناء ترابيّا[1] فقلْ انّك تحبّ إناء ترابيّا، ولا تضطربْ إن هو تحطّم.

---

(١) الإناء الترابي: جسدك.

www.alkottob.com

وإن تعانق ابنـك، أو امرأتـك، فقـلْ انّـك تحـبّ انسـانا، فـلا تضطرب إن هو مات.

٨- أرِدِ الأحداث

لا تطلب أن تجري الأحداث كما يروق لإرادتك، بل حـاول ان تريد الأحداث كما تجري، تعشْ حياتك سعيدا.

١٢- حافظْ على هدوئك

أتريـد التقـدّم في مســالك الحكمــة؟ تخـلَّ عــن مثـل هــذه الاعتبارات: إن أُهملْ أعمالي فاتني معاشي، وإن لم أعـاقب عبـدي صار سيّئا.

لخيرٌ لك أن تموت جوعا، وتظلّ دون جهد أو خوف، من أن تعيش في الرخاء، ونفسك قلقة. وخيرٌ لـك أن يكـون عبـدك سيّئا من أن تكون انت تعيسا... فلكلِّ شيء ثمنه.

١٣- استهنْ بالرأي العام

أتريد التقدّم في مسالك الحكمة؟ اصبرْ اذاً، إن يبدُ موقفك من الأشياء الخارجية سلوكَ مجنون أحمق.

إن تبدُ جاهلا فقابلْ ذلك بالصبر.

وإن ينظرْ إليك الناس نظرتهم الى انسانٍ ذي شأن فليخامرك الشكّ في قدْرك.

لصعبٌ الجمع بني إرادة تجاري الطبيعة والخيرات الخارجيّة. إن تُعنَ بإحداهما تهملِ الأخرى.

www.alkottob.com

١٤- الحريّة الحقّ

مجنونٌ أنت إن تشتهِ الخلود في الحياة لأولادك، أو امرأتك، او اصدقائك، لأنّك تريد أن يكون رهن ارادتك ما ليس رهنها، وأن يكون لك ما هو غريب عنك...

لا تشتهِ، أو تكره، ما هو ملكُ سواك، وإن تفعلْ تعشْ عبدا.

١٥- وليمة الحياة

لا تنسَ أن تسلك في الحياة سلوكك في وليمة:

إن يصلْ صحنٌ إليك فمدَّ يدك، واعتدلْ في ما تتناول منه.

إن يُبعَدْ عنك فلا تتمسّك به، وإن يتأخّرْ وصوله فلا تُقبِلْ عليه بالشهوة، وانتظرْ وصوله.

افعلْ ذلك بالنسبة الى الأولاد، والمرأة، والمجد، والثروة، تصبح يوماً جديراً بأن تُدعى الى وليمة الآلهة.

وإن تُمسِكْ عمّا يقدَّم لك، وتحتقره، فلن تُدعى الى وليمة الآلهة فحسب، بل تصبح مثلهم ومنهم.

١٧- مسرحيّة الحياة

لا تنسَ أنّك، في هذه الدنيا، ممثّلٌ تقوم بالدور الذي خصّك به مولاك، بدورٍ قصير إن إراده قصيرا، وطويل، إن أراده طويلا.

إن تُمثّلْ دور متسوّل فمثّله تمثيلا طبيعيّا. وأفعل كذلك إن تمثّال دور أعرج، أو قاضٍ، أو مواطنٍ عاديّ.

شأنك تمثيل دورك تمثيلا حسنا، أمّا اختياره فشأن سواك.

www.alkottob.com

٢٤- كيف تكون نافعا

تسألني: ما سيكون مقامي في الدولة؟

سيكون ما يسعك الحصول عليه، إن تحرصْ على إخلاصك، وأخلاقك الحسنة.

أمّا اذا تخلّيت عن هذه الصفات لتخدم وطنك فأيّ خدمة تُرجى من انسانٍ عارٍ من الحياء والإخلاص؟

٣١- التقوى والعناية

اعرفْ هذا جيّدا:

تقوى الآلهة في نظراتك الصحيحة إليهم، في إيمانك بوجودهم، وإدارتهم الكونَ إدارةً عادلة، وفي اقتناعك بواجب طاعتك لهم، وتقيّدك بهم، وخضوعك خضوعا راضيا عن كلّ ما يحدث على أنّه عمل عقلٍ حكيم كلَّ الحكمة. وهكذا لن تشكو أبداً من الآلهة، لن تتّهمهم بالتهاون في أمورك.

٣٣- وصايا في السلوك

حَدِّدْ لنفسك نظاما، نوعا من السلوك، اتّخذه قانونا لك، كنتَ وحدَك أو بصحبة الآخرين:

حافظْ على الصمت عادةً، لا تقلْ سوى الضروريّ، وبكلام قليل.

تكلّم نادرا، وحين تقضي الظروف، تكلّم لا على التوافه، أو المبارزات، أو سباق الخيل، أو الألعاب الرياضية، أو الطعام

www.alkottob.com

والشراب، وكلُّ ما تتناوله الأحاديث عادة. لا تتكلّم، بنوع خاصّ، على الأشخاص لتهجوهم أو لتمدحهم، أو لتقارن بينهم...

ان تكن بين غرباء فالزمِ الصمت.

لا تسرفْ في الضحك، أو تضحك من أشياء كثيرة...

تهرّبْ من ولائم الآخرين، ومن صحبة الغرباء عن الفلسفة...، فإن يكن رفيقك وسخا تصبحْ حتما مثله، مهما تكن نظيفا...

إن يخبروك أنّ أحدهم أساء القول فيك فلا تحاولْ أن تبرّئ نفسك، بل اكتفِ بالقول: انّه يجهل عيوبي الأخرى وإلاّ لكان تمادى في الكلام...

احجمْ، في مجالس الحديث، عن الإسراف في الكلام على مآثرك، أو على أخطار ماضية. إن تجدْ لذّة في الحديث عن مغامراتك فالآخرون لا يجدونها في سماعك.

٣٤- في قهر النفس

احذرِ الاستسلام لسحر اللّذة، وحلاوتها، وفتنتها!...

٤٠- التبرّج والحكمة

ما إن تبلغ المرأة سنَّ الرابعة عشرة حتّى يدعوها الرجل: يا سيّدتي، فتبدأ تتبرّج واضعةً في التبرّج كلَّ أملها.

انّه لعملٌ جدير بالتقدير إفهامها أن لا شيء أحرى بالتقدير من حكمتها، وحشمتها.

www.alkottob.com

٤١- العناية بالجسم

حماقةٌ العناية الدقيقة بالجسم، إنفاق الوقت الطويل في الرياضة البدنيّة، وفي الأكل والشرب.

علينا أن نفعل هذا كشيء ثانويّ، فعلى ثقافة الفكر أن تستوعب كلَّ اهتمامنا.

الصبر على السباب

لا تنسَ، إن أساءَ اليك انسان، أو سبَّك، أنّه يحسب عمله هذا مناسبا، ويستحيل عليه أن يرى ما أنت تراه.

إن يكن حكمه خطأً فهو لا يضرّ سوى نفسه، لأنّه قد ضلّ.

إن يحكمْ أحدٌ على دليل بالخطإ، وهو دليل صحيح، فالأذى لا يعود على الدليل، بل على من أخطأ.

اتّخذ هذا المبدأ قاعدة تصبر على من يسبّك.

٤٤- الفضيلة والغنى والفصاحة

خاطئة هذه الأدلّة: أنا أغنى منك فأنا أحسن منك، وأنا أفصح منك فأنا أفضل.

النتيجة الصحيحة: أنا أغنى منك فثروتي تفوق ثروتك، وأنا أفصح منك فخطابي يفوق خطابك.

أمّا انت فلست الثروة، ولا الخطاب.

www.alkottob.com

٥١- تقيّدْ بالعقل

... أصبح سقراط حكيما كاملا لأنّه التزم، في كلّ الظروف، التقيّد بالعقل.

فإن لم تكن قد صرت سقراط فعليك، على الأقلّ، أن تحيا حياة من يريد أن يصيره.

٥٣- الإذعان للقدَر

... سرْ بي، يا جوبيتر، وسرْ بي، أيّها القدَر، الى حيث حدّدتما لي مكانا، وسأتبعكما دون تردّد. وإن أقاومْ فمذنبٌ أنا، اذ ليس في وسعي الاّ اتّباعكما.

من يجارِ راضيا ما هو ضروريّ يكنْ، في نظرنا، حكيما، عالما بالأمور الإلهيّة.

إن تكن هذه ارادة الآلهة، يا قريطون، فلتكن[1] !

سعادة زينون

عدّ زينون مجاراة الطبيعة - طبيعة العالم وطبيعتنا - سبيلا الى سعادتنا.

ومواطن الوهن في هذا الرأي متعدّدة، وأبرزها:

١- خطأُ الإيمان بأنّ ما في الطبيعة حسن، وتكفيك الأمراض والعاهات، السوامّ والكواسر، الأعاصير والزلازل...

---

(١) هذا كلام سقراط لقريطون، اذ جاء ينبئه بموته في الغد.

www.alkottob.com

وعسيرةٌ قدرتنا كـلَّ العسـر علـى مسـاواة الأضـداد، مسـاواة المرض بالصحة، والفقر بالغنى، والخمول بالشهرة...

٢- وخطأُ الإيمـان بـأنّ كـلّ مـا يجـري في الطبيعـة مقـدَّر لا مهرب منه، فالانسان قادر على المقاومة، ويكفيك مـا حقّـق العلـم من انتصارات ومكاسب، وما يحقّق...

ثمّ كيف يكون الغنى والشهرة قدَرا لا دور لإرادتنا فيهما؟

٣- وهمٌ اعتقادنا أنّنا نعرف طبيعتنـا معرفـة كافيـة صحيحـة لنجاريها، نفعل ما يناسبها، ونهمـل ما يؤذيها، ناهيك بما في هـذه المجاراة من عسر وعناء... ومن شرّ أيضا!

في فلسفة زينون استسلام وغرور بالنفس معا، رضىً عن كلّ ما يجري في العالم، واستسهالُ معرفة طبيعتنا ومجاراتها، وفيها ايمان ساذج بصلاح كلِّ ما في طبيعتنا من أهواء.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

سعادة ابي العلاء المعرّي

زهدٌ في ما يُظَنّ سعادة!

www.alkottob.com

أبو العلاء المعرّي

(بريشة جبران خليل جبران)

www.alkottob.com

تختصر رأي ابي العلاء (٣٦٣-٤٤٩ هـ=٩٧٣-١٠٥٧) في السعادة كلمتان: واقعٌ وموقف.

أمّا الواقع فهو:

أ – شقاء أبي العلاء: مشوَّه الوجه، أعمى، فقير، وحيد، "رهين محبسين، بيته وعماه".

ب – تشاؤمه: الانسان في نظره:

١- فاسد الطبع، والدين، والخلق، والسياسة. والمرأة أفسد، ومفسِدة.

٢- شقيّ، يشقيه عناء القوت، واللباس، والمرض، والفشل في طلب الحبّ، والصداقةِ، والغنى، والمجد.

ج – كفره بالأديان، وتردّده بين الجبر والحريّة.

د – إيمانه بوجود إله قادر حكيم، على حيرة في عناية هذا الإله، في خلقه انسانا فاسدا، شقيّا.

هـ – شكّه في **خلود النفس** وبعث الأجساد، وبالتالي في الثواب والعقاب.

و – إيثاره **العدم** على الوجود، **والموت** على الحياة.

وأمّا الموقف فهو:

أ – إحجامه عن **الانتحار**، وإيثاره **الخير** على الشرّ، خشية خلود وجزاء، ويتقدّم بسكال في (رهانه) المعروف[1] ، اذ يقول:

---

(١) رهان بسكال: ان اللّه إمّا موجود، وإمّا غير موجود، فإلى أيّ الفرضين نميل؟ هب العقل لا يستطيع في المسألة بتّا... فإنّه يجب أن تراهن، لأنّك على الرهان مضطرّ...

www.alkottob.com

قال المنجّمُ والطبيب كلاهما:

لا تُحشَر الأجساد! قلتُ: إليكما

إن صحَّ قولكما فلستُ بخاسر

أو صحّ قولي فالخسار عليكما

إن لم تعدْ بيدي منافع بالذي

آتي، فهل من عائد بيديكما؟!

ب – زهده في ما يُقبل عليه الناس:

١- في **المال ورغد العيش** لما يكلّفان من عناء وشرّ، فلا خمور، ولا لحوم، ويكفي وقفٌ وثلاثون دينارا في السنة.

٢- في **السلطة والمجد** لصعوبة الوصول، وخطره، وزوال كلِّ وصول.

٣- في **الزواج، والصداقة، والحبّ**، بل في **الحياة** نفسها.

٤- في **معاشرة الناس** لما فيها من شرّ ونفاق.

ما الربح وما الخسارة، اذا راهنت أنّ اللّه موجود؟ انّك إن تربح ربحت كلَّ شيء، وإن تخسر لم تخسر شيئا. راهنْ اذاً أنّ اللّه موجود، ولا تتردّدْ!

هذا حسن عجيب! نعم، يجب أن أراهن، ولكن ألا أخاطر في المراهنة؟

– اسمعْ! انّه حين يستوي حظّك من الربح والخسارة، وتراهن على حياتين بحياة، فالمراهنة معقولة. وإن راهنت على ثلاث فالمراهنة واجبة، لأنّك مضطرّ الى المراهنة، ولأنّ حظّك من الربح والخسارة متعادل. وما القول اذا راهنت بحياتك الواحدة على حياة أبديّة وهناء أبديّ؟...

أمن الممكن أن نقصر أفعالنا على ما هو يقينيّ؟... كم نجازف ونخاطر في الأسفار، وفي الحروب!...

www.alkottob.com

يزهد ابو العلاء في كلّ ذاك لا زهد القادر، الراغب عن متاع الدنيا، بل زهد العاجز، الهارب من الكدّ والعناء الى الاستقرار والهدوء.

وقد استطاع ابو العلاء الوصول، أو كاد، إلى ما أراد، لا يزعجه فقر أو يهمّه غنى، لا يستهويه مجد أو يقلقه خمول، لا يحنّ الى انس أو يميل الى جسد، لا يعبأ بحياة أو يخاف من موت، لا يطرب لغناء أو يدمع لنواح:

غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادِ
وشبيهٌ صوتُ النعيّ اذا قيسَ بصوت البشير في كلّ نادِ
أبكتْ تلكمُ الحمامةُ أم غنّت على فرع غصنها الميّادِ
صاحِ، هذي قبورنا تملأ الرّحبَ فأين القبور من عهد عادِ؟
خفّفِ الوطءَ ما أظنّ أديمَ الأرض إلا من هذه الأجساد
سرْ، إن اسطعتَ في الهواء،رويدا لا اختيالا على رفات العبادِ
فقبيحٌ بنا، وإن قدمَ العهدُ، هوانُ الآباء والأجدادِ
ربَّ لحدٍ قد صار لحدا مرارا ضاحكٍ من تزاحمِ الأضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ في طويل الأزمان والآباد
تعبٌ كلُّها الحياة فما أعجبُ الاّ من راغبٍ في ازديادِ
ضجعةُ الموت رقدةٌ يستريح الجسمُ فيها، والعيش مثلُ السهادِ![1]

---

(١) من قصيدة رثاء.

www.alkottob.com

ونتنقل بك الى (لزوميّات) المعرّي فننقل بعض ما يعبّر عمّا أوردناه له من آراء:

بنو حوّاء

إن مازتِ الناسَ أخلاقٌ تُقاس بها
فإنّهم عند سوء الطبع أسواءُ
أو كان كلُّ بني حوّاءَ يشبهني
فبئس ما ولدت في الخلق حوّاء!

غلبة الهوى

وقد غلب الأحياءَ في كلِّ وجهة
هواهم، وان كانوا غطارفةً غُلبا
كلابٌ تغاوت أو تعاوت لجيفة
وأحسبني أصبحت ألأما كلبا

كالذيب

يغدو على خلّه الانسان يظلمه
كالذيب يأكلُ عند الغرّة الذيبا

ظلموا الرعيّة

مُلَّ المُقام فكم أعاشر أمّة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها

www.alkottob.com

ظلموا الرعيّة، واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

تباين الأديان

وجدنا اختلافا بيننا في إلهنا
وفي غيره، عزَّ الذي جلَّ واتّحد
لنا جمعة، والسبت يُدعى لأمّة
أطافت بموسى، والنصارى لها الأحد

ديننا رياء

قد حجب الدين والضياءُ
وانّما ديننا رياءُ
يا عالمَ السوء ما علمنا
أنّ مُصليّك أتقياءُ
لا يكذبنّ امرؤ جهول
ما فيك للّه أولياءُ
كم وعظ الواعظون منّا
وقام في الأرض أنبياءُ
فانصرفوا والبلاء باقٍ
ولم يزُلْ داؤك العياءُ
حكمٌ جرى للمليك فينا
ونحن في الأصلِ أغبياءُ

www.alkottob.com

لا صديـق

قـالـوا: فـلانٌ جـيّـدٌ لـصـديـقـه
لا يـكـذبـوا، مـا في البريّة جيّدُ!

حاولْ رضاهـا

لعمرُك مـا غادرت مطلع هضبـة
من الفكر الاّ وارتقيت هضابهـا
أقلُّ الذي تجنـي الغوانـي تبرّجٌ
يُري العين منها حليها وخضابها
فإن أنت عاشرتَ الكعاب فصادِهـا
وحاولْ رضاهـا، واحذرنّ غضابهـا
فكم بكرت تسقي الأمرَّ حليلهـا
من الغـار، اذ تسقي الخليل رضابها

شرّ النسـل

خير النساء اللواتي لم يلـدن لكـم
فان ولـدن فخير النسـل مـا نفعـا
وأكثر النسل يشقـى الوالـدان بـه
فليتـه كـان عـن آبائـه دُفعـا
أضـاع داريـك من دنيـا وآخـرةٍ
لا الحيَّ أغنى، ولا في هالكٍ شفعا

www.alkottob.com

وكم سليلٍ رجاه للجمال أبٌ
فكان خزيا بأعلى هضبة رُفِعا

بدا شيبه

بدا شيبُه مثل النهار ولم يكن
يشابه فجرا أو نجوم ظلام
يحدّثها ما لا تريد سماعه
ولم يبقَ عند الشيخ غير كلام
تودّ لو أنّ اللّه أعطاه حتفه
وكيف لها من بعده بغلام؟!

حياة عناء

حياةٌ عناءٌ وموتٌ عنا
فليت بعيدَ حمام دنا
يدٌ صفرت، ولهاةٌ ذوت
ونفس تمنّت وطرف رنا
يحاول من عاش ستر القميص
وملءَ الخميص، وبرءَ الضنى
أعائبةٌ جسدي روحُه
وما زال يخدم حتّى ونى
ولي مورد بإناء المنون
ولكنّ ميقاته ما أنى

www.alkottob.com

نادى حشـا الأمّ

نادى حشـا الأمّ بالطفـل الذي اشتملت
عليه: ويحـك! لا تظهرْ ومـتْ كمـدا
فإن خرجتَ الى الدنيـا لقيتَ أذى
من الحوادث، بلهَ القيظ والجمـدا
وما تخلّصُ يوما مـن مكارهـها
وأنـت لا بـدَّ فيهـا بالغٌ أمـدا
وربَّ مثلـك وافاها على صغر
حتّى أسنّ فلم يُحمد وما حَمَدا
لا تأمن الكفُّ من أيّامها شللا
ولا النواظرُ كفّا عنَّ أو رمـدا

اذا شقيـتَ

ما كان في هـذه الدنيـا بنـو زمـن
الاّ وعنديَ مـن أخبارهـم طرفُ
يخبّـر العقـلُ أنَّ القـوم ما كرمـوا
ولا أفادوا، ولا طابوا، ولا عرَفـوا
عاشوا قليلا ومـاجـوا في ضلالتهـم
ولا يفـوزون إن جوزوا بما اقترفوا
اذا شقيتَ فجسم ناله نصبٌ
وإن ترفتَ فماذا ينفع الترفُ؟

www.alkottob.com

هنّـئْ

قضى اللّـه أنّ الآدميّ معـذَّبٌ
الى أن يقـول العالمـون بـه قضى
فهنّئْ ولاة الميـت يـوم رحيله
أصابوا تراثا، واستراح الـذي مضى

الموت أفضـل

موت يسير معـه راحـة
خيرٌ مـن اليسر وطول البقاء
وقـد بلـونا العيـش أطـواره
فما وجدنا فيـه غير الشقاء

الموت أولـى

كأسُ المنيّة أولى بـي وأروح لي
من أن أكابدَ إثراء وإحواجا

عمى العين

عمـى العين يتلوه عمى الديـن والهدى
فليلتـيَ القصـوى ثلاثُ ليـال
وهوّنَ ارزاءَ الحوادث أنّني
وحيـد أعانيهـا بغير عيـال

www.alkottob.com

فدعْني وأهوالا أمارس ضنكهـا
وإيّاك عنّـي لا تقفْ بحيالي!

زهـد

من مذهبي أن لا أشـدَّ بفضّة
قدحـي، ولا أصغي لشرب معوّجِ
لكـن اقضّي مدّتـي بتقنّـع
يغني، وأفـرح باليسير الأروج
هذا ولست أودّ أنّي قائم
بالملك، في ثوبَي... أغـرَّ... متوَّج

قوتي غناي

القبر لاريـب منزول فما أربي
الى ارتقاء رفيع السمك مصعودِ
قوتي غناي، وطمري ساتري، وتقى
مولاي كنزي، ووردُ الموت موعودي

كلاب

أصاح هي الدنيا تشابه ميتة
ونحـن حواليهـا الكلاب النوابـحُ

www.alkottob.com

فمن ظلَّ منها آكلا فهو خاسر
ومن عاد منها ساغبا فهو رابحُ

أبيـات

• آليتُ لو رُزق العديمُ فطانـة
لنفى الهموم وبـات غيرَ محسَّـرِ

• من لي بجسم لا يحسّ رزيّة
لكن يُعَدّ كتربـة أو جلمدِ!

• من وسخٍ صاغ الفتى ربُّـه
فـلا يقـولـنّ توسّخـتُ!

• مُـلَّ المقام فكـم أعاشر أمّة
أمرت بغيـر صلاحهـا أمراؤها
ظلموا الرعيّة، واستجازوا كيدهـا
فعَدوا مصالحها، وهم اجراؤهـا

• دينٌ وكفرٌ وأنباء تقصّ وفرقـانٌ ينصّ وتوراة وإنجيلُ
في كـلِّ جيل أباطيلٌ يُدان بهـا
فهل تفرّد يوما بالهدى جيلُ؟

• اذا كنت من فرط السفاه معطّلا
فيا جاحد اشهـدْ أنّني غير جاحـدِ

www.alkottob.com

فانّي رأيت الملحدين تعودهم
ندامتهم عند الأكفّ اللواحدِ

- يخبّرونك عن ربّ العلى كذبا
وما درى بشؤون اللّه انسانُ

- ودان أناس بالجزاء وكونه
وقال رجال: انّما انتم بقلُ!
- أرواحنا معنا وليس لنا بها علمٌ
فكيف اذا حوتها الأقبرُ؟!

- وقيلَ: نفوسُ المرء تسطيع فعلها
وقال رجالٌ: بل تبيّن جبرها
- نفارق العيش لم نظفر بمعرفة
أيُّ المعاني بأهل الأرض مقصود؟!

- رأيت الحقّ لؤلؤة توارت
بلجٍّ من ضلال الناس جمِّ

* * *

www.alkottob.com

المعرّي والسعادة

نظريّا:

١- كفر ابو العلاء بالدين، وشكّ في خلود النفس، وحار في فساد الانسان وشقائه، دون أن يشكّ في وجود إلهٍ خالق قادر حكيم.

٢- وعى ما يلقى الانسان من عجز عن تحصيل مقوّمات العيش، وبلوغ المجد، ومن نفاق الجليس، وعناء الزواج، ولا سيّما ما يَخبرَه هو من كلّ ذاك.

عمليّا:

١- وقى أبا العلاء (رهانُه) الانتحار، أو الانفلات الخلقيّ.

٢- وقته **عزلته** أذى الناس، ووقاه **زهدُه** عناء السعي، ومرارة الفشل.

ما كان في طاقة أبي العلاء الخلاص من معطياته العقليّة، أو مجاراة النفس في كفاحها من أجل هناء العيش، فكان (رهانه) مخرجا عقليّا سليما، وكانت عزلته وزهده أقرب الى التسليم بالواقع، بل الى الاستسلام له!

أبو العلاء أولى بالشفقة منه بالنقمة، والنقد الصارم.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

سعادة الخيّام

خمرة وامرأة وروض!

www.alkottob.com

الخيّام

خمرة وامرأة وروض!

www.alkottob.com

عُمَر الخيّام (توفي سنة ٥١٧هـ=١١٢٢). شاعر فارسيّ، شاعر شرقيٌّ حكيم كأبي العلاء المعرّي.

تعلّم العربيّة، وألّف فيها، ونظم أبياتاً من الشعر.

نظم رباعيّات تعدّدت مخطوطاتها وتفاوتت أحجامها.

والخيّام هذا:

أ – متشائم: العمر قصير، والدهر هموم، والعدم خير من الوجود.

ب – شاكّ: غير مطمئن الى خلود النفس، ووجودِ جنّة ونار[1].

ج – مؤمن بالقدَر: قدَرٌ وجودنا، وقدرٌ صفاتنا وأفعالنا، فما ذنبنا لنُحاسَب، ونعاقَب؟

د – مؤمنٌ بوجود اللّه: واللّه رحيم، كريم، "وعفوُه يزدان بآثامنا!"

هـ – زاهد في السلطة والمجد، قانعٌ بحرّيته، لا سيّد ولا عبد.

---

(١) جاء في "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدين القفطي كلام على الخيّام هذا بعضه:"وقف متأخّرو الصوفيّة على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم، وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم، وبواطنها حيّاتٌ للشريعة لواسع ومجامع للأغلال جوامع.

ولمّا قدح أهلُ زمانه في دينه، وأظهروا ما أسرّه من مكنونه، خشي على دمه، وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحجّ متاقاةً لا تقيّة، وأبدى أسرارا من السرار غير نقيّة..."

www.alkottob.com

وانطلاقا من هذه المقدّمات، الشائعة في رباعيّاتـه، والمتكـرّرة، يصـل الخيّـام الى هـذه النتيجـة: الى وعـيِ الانسـان قصـرَ حياتـه، وتناسيه ما مرَّ به، أو سوف يمرّ، فإلى حصر همّه في الحاضر العابر، في جني ما يستطيع من هناء ولذّة وسرور.

وخير لذّاته:

١- الخمرة والعود والرياض

لا الخمرة، التي عناها الصوفيّة، خمرةُ الحبّ الإلهـيّ، بـل خمـرة السكارى والحوانيت يشـربها الخيّـام مـا راقـه شـربها، ينسـى بهـا همومه، وذاته، ويلقى ما يلقاه كلُّ مدمـنٍ علـى الشـراب مـن ثمـل وسرور.

ولا يشرب الخيّام الخمرة في داره، بل في جـوّ طبيعـيّ ملائـم، على ضفّة نهر، بين الرياض، وعلى أنغام العود.

٢- المرأة:

والمرأة منيته الثانية. ولكن أيّ امرأة؟

ليست زوجا حليلةً حلالا.

وليست حبيبة تصدّه، أو تحول دون وصوله إليها حوائل.

وليست عشيقة واحدة اكتفت به، واكتفى بها.

وليست امرأة متفوّقة تتذوّق الشعر، أو تتقن فنّا، أو تتألّق ذكاء.

انّها امرأة، ايّ امـرأة تعجبـه، جليسـة مجـالس الانـس، وهـواة الكأس، وشهوة العين والجسد!

www.alkottob.com

همّ الخيّام لذّة جسديّة تنسيه همومه وتشبع شهوته، فهو يؤثر جنّة الأرض على جنّة الآخرة، أو يستبق بها تلك الجنّة، يستبق وعدا بنقد!

بين رباعيّات الخيّام ولزوميّات المعرّي مواطن شبه: كلا الشاعرين متشائم، شاكّ في خلود النفس، وتعاليم الدين. ولكنّ النتيجة اختلفت: رأى المعرّي راحته في عزلة تشبه الزهد، وليست زهدا، وما شرب خمرة، أو هوى امرأة، وأقبل الخيّام على الخمرة والمرأة معا، رأى فيهما كلّ الهناء: متشائمان نقيضان!

وننقل لك نماذج من الرباعيّات[1] تتبيّن فيها، بلغة الشعر، ما نثرناه وأوجزناه:

من تحرّى حقيقة الدهر أضحى
عندَه الحزنُ والسرور سواءَ
إن يكن حادث الزمان سيفنى
فليكنْ كلّه أسىً أو هناءَ!

•

من يكن يضحك يوما
يقضِ حولا بالبكاء

•

(١) للرباعيّات ثلاث ترجمات عربيّة: لمحمد السباعي، ووديع البستاني، وأحمد الصافي النجفيّ. ليس الأصل المنقول واحدا، ولكنّ المضمون متقارب. وقد آثرنا ترجمة أحمد الصافي لأنها نقلٌ عن الأصل الفارسيّ، لا عن نقل غربيّ.

www.alkottob.com

دعْ عنك حرص الوجود واهنأْ
إن أحسنَ الدهرُ أو أساء
واعبثْ بشعر الحبيب واشربْ
فالعمرُ يمضي غداً هباء

•

ان تواعدتم، رفاقي، لأُنس
وسعدتم بالغادة الهيفاء
وأدارَ الساقي كؤوس الحميّا
فاذكروني في شربها بالوعاء

•

ان كنتَ لا تفنى سوى مرَّة
فافنَ، ودعْ هذا الأسى والشقاءْ
وكنْ كأنْ لم تحوِ ذا الجلدَ أو
ذا الدمَ واللّحمَ، وخلِّ العناءْ!

•

ما الكونُ دارَ إقامة فأخو النُّهى
أَولى به أن يُدمِنَ الصهباءَ
أَطفئْ بماء الكرم نيران الأسى
فلسوفَ تذهب في الهواء هباءَ

•

www.alkottob.com

اخترْ بدهرك قلّـــةَ الرفقـاءِ
واصحبْ بنيه، وأنت عنهم نـاءِ
لقد آنَ الصبـوح فقمْ، حبيبـي،
وهاتِ الرّاحَ واشـــرعْ بالغنـاءِ

•

ما شهد النـــارَ والجنـانَ فتًى
أيُّ امرىء مـن هناك قد جاءَ؟

•

اذا كنتَ تـجزي الذنـبَ منّي بمثله
فما الفرق ما بيني وبينك، يا ربّي؟

•

أتقول: أين تروح من بعـد الرّدى؟
هاتِ المُدام، وأينمـــا شئـتَ اذهبِ!

•

يا جاهلا معنى الـهوى إنّما
معنى الحيـاة الحـبّ والانجذاب

•

قد حظينا بالغنا والراح في الدار الخرابِ
وفرغنا من منى الرحمة أو خوف العقابِ

•

www.alkottob.com

لا عشتُ إلاّ بالغواني مغرَما
وعلى يدي تبرُ المُدام الذائبُ
قالوا: سيقبل منك ربُّك توبة
لا اللّه قابلها، ولا انا تائبُ!

•

واذا متُّ فاجعلوا الراح غسلي
ومن الكرم فاصنعوا تابوتي!

•

ان نلتُ من حنطةٍ رغيفا
وكوزَ ماءٍ وفخذ شاة
وكان إلفي معي بقفرِ
فُقتُ بذا عيشةَ الولاة

•

ما اسطعتَ كنْ لبني الخلاعة تابعا
واهدمْ بناءَ الصوم والصلوات

•

هلمَّ، حبيبي، نتركِ الهمَّ في غدٍ
ونغنمْ قصيرَ العمر قبلَ فواتِ

•

من كان نصفُ رغيفٍ في الحياة له
ومسكنٌ فيه مثواه وراحتُه

www.alkottob.com

لم يغدُ سيّـدَ شخصٍ أو غلامَ فتًى
فهنّـه فلقـد راقـت معيشتُـه

•

تدري لما اخترتُ الطلا؟ كـي لا أُرى،
يا صـاح، مثلك مولعـاً في ذاتي!

•

يا زبدةَ الخلاّن، خـذْ نصحي، ولا
تصبحْ مـن الدنيـا بهـمّ مُزعـجِ
واجلسْ بزاويـةِ اعتزالـك وانظـرنْ
ألعابَ دهـرك نظـرة المتفـرّجِ

•

من لم يجيئـوا لهذا الدهر لو علموا
ماذا نكابد منـه ما أتوا أبدا!

•

اشربْ على ضـوء ذا البدر المنير فكـم
يُضيء بعدُ، ومنّا لا يَرى أحدا!

•

اغنمْ، قصيرَ العمـر، في طرب، ولا
تحزنْ على أمـس، ولا تخشَ الغدا!

•

دعْ ذكرَ ما لـم يجيءْ، أو ما أتى ومضى
والآن فاهنأْ فهـذا خيرُ مقصودِ

•

www.alkottob.com

لا تُعنَ في مـا لم يردْ، وما مضى
واشرب لئلاّ يذهبَ العمرُ سدى

•

يومان ما عشـتُ لا أُعنى بأمرهما
يومٌ تولّـى، ويـومٌ بعـدُ لم يـردِ

•

ليس الوجود، وعمرنـا الفاني سوى
وهـم وتضليـل وحلـم رقـادِ

•

هي النفسُ من بحر بدت ثمّ انّها
تغيب بذاك البحر، يا صـاح، من بعـدُ

•

ما أطيبَ السكرَ، والسـاقي يناولني
كأسا، وتعجز عن أخـذِ الكؤوس يدي!

•

اشربْ فكم لك قـد كـررّتُ موعظتي
إن رحتَ رحتَ ولم ترجـعْ ولم تعُدِ!

•

انّ ديني الهنـا، ورشفُ الحميّا
وفراغي من كلِّ ديـن وكفرِ

•

www.alkottob.com

يومانِ ذا العمرُ الثمين فعشْ
طلقَ المحيّـــا، باســـمَ الثغـــرِ

•

ان تكـن سائـــلا أو رَبَّ تـــاجِ
فـذان غداً سيستويـان قـــدْرا

•

قيلَ: خلدٌ غـــداً، وحورٌ وكوثرْ
أنْهرٌ من طـــلاً وشهـــدٌ وسكّـــرْ
فعلى ذكرها أدرْ لـي كأســا
انَّ نقداً من ألف ديـن لأجدرْ!

•

يقولون: حورٌ في الغـــداة وجنَّة
وثَّمة أنهارٌ من الشهـــد والخمر
اذا اخترتُ حـــوراءً هنا ومدامـةً
فما البأس في ذا، وهو عاقبةُ الأمر؟

•

اسلكْ سبيل بني الحانات واسعَ الى
راحٍ وعودٍ وظبـيٍ يبهـج النظرا

•

www.alkottob.com

إلهي، ومُجري كلِّ حيّ ومميّت
وربَّ السما ذاتِ النجوم السواطع
لئن كنتُ ذا سوء فإنّك سيّدي
وما هو ذنبي، إن تكن أنت صانعي؟

•

أعيشُ، وما لي تحت ذا الأفق مبدأٌ
فلا مسلمٌ محضٌ، ولا كافرٌ صرفُ

•

إن كان عاقبةُ الوجود هي الفنا
فافرضْ فناك، وعشْ سعيدا بالا

•

أتريدُ معرفة الجحيم بكنهها؟
إنّ الجحيمَ لصحبةُ الجهّال

•

أنا لست أقنط من خالق
رحيم لعبء ذنوبي الجسام

•

سرُّ الحياة لو انّه يبدو لنا
لبدا لنا سرُّ الممات المبهَمُ
لم تعلمنَّ، وأنت حيٌّ، سرّها
فغداً، اذا ما متَّ، ماذا تعلمُ؟

•

www.alkottob.com

انّ القضاءَ لأمـرٌ لا يُردّ ومـا
نصيبُ ذي الهـمّ الاّ السقـم والألمُ
ان تقضِ عمـرك مهمومَ الفؤاد فلن
تزيدَ شيئا على مـا خطّه القلمُ

•

لي نقدٌ سـاقٍ وعُـودٌ وروضٌ
ولك الوعـدُ فـي غدٍ بالنعيـم
دعْ حديثَ الجنـان والنار، من جاءَ
من الخلـدِ، أو مضـى للجحيـم؟

•

لو غدا لـي في السيـر أدنى اختيار
لـم تجدْنـي أدورُ كالحـيران
أحسـنُ من زهـد الفتـى عـن ريًـا
رشفُ الحميّـا، واقتفاءُ الحسـان
إن كان أهـلُ الحبّ والراح في
لظًى فلـن تلقى امرءًا في الجنان

•

أنا لم أُطِعْك، إلـهي، في الحياة ولم
اطهّـر النفـس مـن أدران عصيـان
فليست النفـس مـن جدواك قانطـة
اذ لـم أقلْ قـطُّ انّ الواحدَ اثنـان

•

www.alkottob.com

كم في المدارس والصوامع أنفسٌ
ترجو الجنانا وتختشي النيرانا
لكنّ من عرف الإله وسرَّه
لم يشغلنّ بذي الأمور جَنانا

•

لا تؤمِّلْ ما فوق ستّين حولا
لك عمرا، ولازِم السكرَ واهنا

•

زمنُ الوردِ ذا، وضفّةُ نهرٍ
ورياضٌ وبضعُ حورٍ حسانِ

•

قد كان يدري اللّه كلّ فعالنا
من يوم صوّر طيننا وبرانا
لم نرتكبْ ذنبا بدون قضائه
فاذاً لماذا ندخل النيرانا؟

•

ما كان أسعدني لو لم أجئ أبدا
للدهر يوما، ولم أرحلْ، ولم أكنِ!

•

الهمُّ ليس بزائدٍ أو منقص
في الرزق فالتزمِ المسرَّةَ والهنا

•

www.alkottob.com

بلغتُ سبعين حولاً كاملا فمتى
ألقى الهناءَ اذا لم القَه الآنا؟

•

ما يصنع العفوُ بلا مأثم
العفو يزدان بآثامنا

•

حتّامَ صومُك والصلاة تنسّكا
فدعِ المساجدَ واقصدنَّ الحانا!

•

أتمنّى ديوان شعر ونصفا
من رغيفٍ، وكوز صهباءَ حانِ
وجلوساً مع الحبيب بقفر
ذاك خيرٌ من ملكِ ذي سلطان

•

أسفاً لقلبٍ ليس يذكيه الهوى
شغفا، وليس يهيم قطّ بشادنِ!

•

www.alkottob.com

سعادة الخيّام

شكّ الخيّام في خلود النفس وجزائها، وهاله قصر العمر وهمومه، فهرع الى متعات دانية، الى خمرة يشربها، وامرأة يعشقها، والى ظلّ روض، وأنغام عود.

انّها سعادة محدودة، مقتصرة على لذّات جسديّة، والخيّام نفسه ما روته، أو ساوت شقاءَه، أو حالت دون إيثاره العدم على الوجود!

تشاؤم لا يقرّه عقل، وانفلات لا يقرّه خلُق!

www.alkottob.com

ليبنتز

سعادة ابن سينا وليبنتز

أحسن سعادة ممكنة!

www.alkottob.com

ابن سينـا

www.alkottob.com

فيلسوفان متفائلان، عربيّ وأوروبيّ، ابن سينا وليبنتز، اعتقدا أنّ هذا العالم أحسن عالم ممكن، ومثله سعادتنا، ولهذا جمعناهما معاً على الرغم من تباعد الزمان والمكان، نعرضهما على التوالي مذهبا ونصوصا:

١- ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٦=٣٧٠-٤٢٨هـ)

تصدّى ابن سينا، في إلهيّات الشفاء، لموضوع العالم، لما دعاه العناية ووضع الشرّ، وأبرز ما قال:

أ- عناية اللّه: عناية اللّه لا تعني أنّه خلق ما خلق لأجل البشر، أو لداعٍ أو إيثار: ما خلق اللّه لغاية وإلاّ لكان معلولا لها، وهو علّة أولى.

وتعني عناية اللّه أنّ ما صدر عنه هو خير وكمال بحسب الإمكان، فهذا العالم أحسن عالم ممكن.

ب- وجود الشرّ في العالم: هذا العالم أحسن عالم ممكن، أمّا ما نجده فيه من شرّ فهو:

١- **محصور على عالم ما تحت القمر**، على أرضنا، والأرض جزء يسير بالنسبة الى العالم.

٢- **يصيب الاشخاص، وفي بعض الأوقات**، أمّا الأنواع فمحفوظة.

٣- **أقلّ من الخير**، وإن يكن كثيرا، وما من كائن يغلب شرُّه على خيره، أو يساويه.

www.alkottob.com

٤- **مقصود بالعرَض لا بالذات:** المقصود بالذات من الإحراق في النار، مثلا، هو الخير. أمّا بالعرض فتُحرِق عضو ناسك أو رداء شريف.

ولا يمكن أن يُعدَم الشرّ بالعرض الاّ اذا عدِم ما يصدر عنه، فعُدِم خيره الأكثر، وهذا شرّ أكبر: ليس من الحكمة الإلهيّة أن تُترَك الخيرات الدائمة والأكثرّية لأجل شرور في أمور شخصيّة غير دائمة.

ج- سعادتنا أفضل سعادة:

وإذا كان هذا العالم أحسن عالم ممكن،

وخيرُه أكثرَ خير ممكن،

وشرّه أقلّ شرٍّ ممكن، وأقلّ من الخير،

فسعادتنا أفضل سعادة ممكنة.

انّها سعادة ناقصة انّما وجودها خير من عدمها، وعناية اللّه خلقت ما هو أفضل لنا.

وننقل لك بعض ما جاء في الفصل السادس من إلهيّات الشفاء:

في العناية وكيفيّة دخول الشرّ في القضاء الإلهيّ

وخليقٌ بنا... أن نحقّق القول في العناية، ولا شكّ أنّه قد اتّضح لك ممّا سلف منّا بيانه أنّ العلل العالية لا يجوز أن تعمل ما تعمل لأجلنا، أو تكون بالجملة يهمّها شيء، ويدعوها داعٍ، ويعرض لها إيثار. ولا لك سبيل الى أن تنكر الآثار العجيبة في

www.alkottob.com

تكوّن العالم، وأجزاء السموات، وأجزاء الحيوان والنبات ممّا لا يصدر اتّفاقا، بل يقتضي تدبيرا ما، فيجب أن يُعلَم انّ العناية هي كون الأوّل عالما بما عليه الوجود في نظام الخير، وعلّةً، لذاته، للخير والكمال بحسب الإمكان، وراضيا به على النحو المذكور، فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان، فيفيض عنه ما يعقله نظاما وخيرا على الوجه الأبلغ الذي يعقله، فيضانا على أتمّ تأدية الى النظام، بحسب الإمكان. فهذا هو معنى العناية.

الشرّ محدود

جميع سبب الشرّ إنّما يوجَد في ما تحت فلك القمر، وجملة ما تحت فلك القمر طفيف بالنسبة الى سائر الوجود.

ثمّ الشرّ يصيب أشخاصا وفي أوقات، والأنواع محفوظة. وليس الشرّ الحقيقيّ يعمّ أكثر الأشخاص...

والشرّ في أشخاص الموجودات قليل، ومع ذلك فإنّ وجودَ الشرّ في الأشياء ضرورةٌ تابعةٌ للحاجة الى الخير... فوجب ضرورةً أن يكون الخيرُ الممكن في هذه الأشياء انّما يكون خيرا بعد أن يمكن وقوع الشرّ عنه، ومعه، فإفاضة الخير لا توجب ان يُترك الخير الغالب لشرّ يندر، فيكون تركه شرّا من ذلك الشرّ...، ولهذا يؤثر العاقل الاحتراق بالنار بشرط أن يسلم منها حيّا على الموت بلا ألم...

خير الشرّين

وإن قال قائل: قد كان جائزا أن يُوجِد المدبِّرُ الأوّل خيرا محضاً مُبرَّأً عن الشرّ فنقول:

www.alkottob.com

هذا لم يكن جائزا في مثل هذا النمط من الوجـود، وإن كـان جائزا في الوجود المطلق على أنّه ضرب من الوجود المطلـق مـبرّأ – لا هذا الضرب – وذلك ممّا قد فاض عن المدبِّـر الأوّل، ووُجـد في الأمور العقليّة والنفسيّة والسماويّة. وبقي هذا النمـط في الإمكَـان، و لم يكن ترك إيجاده لأجل مـا قـد يخالطـه مـن الشـرّ، الـذي اذا لم يكن مبدؤُه موجودا اصلا، وتُرِك لئلاّ يكون هذا الشرّ، كان ذلـك شـرّا مـن أن يكـون هـو، فكونـه خـيرُ الشـرّين... الخير مقتضـى بالذات، والشرّ مقتضى بعرَض، وكلٌّ بقدَر...

انّ الأمور في الوهم:

إما أُمور، اذا تُوهِّمت موجودة، يمتنع أن تكون الاّ شـرّا علـى الإطلاق،

وإمّا أمور وجودُها أن يكون خيرا، ويمتنـع أن تكـون شـرورا وناقصة،

وإمّا أمور تغلب فيها الخيريَّة، اذا وجدت وجودَها، ولا يمكـن غير ذلك بطباعها،

وإما أمور تغلب فيها الشرّيّة،

وإما أمور متساوية الحالين.

فأما ما لا شرّيّة فيه فقد وجِد في الطباع.

وامّا ما كلّه شرّ، او الغالب، أو المساوي أيضا، فلم يُوجَد.

وأمّا الذي الغالب في وجوده الخير فالأحرى به أن يوجـد، اذا كان الأغلب فيه أنّه خير.

www.alkottob.com

فإن قال قائل: "ليس الشرّ شيئا نادرا، أو أقليّا، بل هو أكثريّ"، فليس هو كذلك، بل الشرّ كثير، وليس بأكثريّ، وفرقٌ بين الكثير والأكثريّ، فإنّ ههنا أمورا كثيرة هي كثيرة، وليست بأكثريّة، كالأمراض فإنّها كثيرة، وليست أكثريّة.

فاذا تأمّلت هذا الصنف، الذي نحن في ذكره، من الشرّ، وجدتَه أقلّ من الخير الذي يقابله.

٢- ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦)

يردّد ليبنتز أكثر ما جاء لدى ابن سينا في نظرته الى العالم، والى وجود الشرّ فيه.

لقد رأى كابن سينا أنّ هذا العالم أحسن عالم ممكن: "كلُّ شيء أحسن في أحسن العوالم" وحجّته: اللّه تامّ، قادرٌ كلَّ القدرة، حكيمٌ كلّ الحكمة، ولذا خلق أحسنَ عالم ممكن.

أمّا الشرّ في العالم:

١- **فيمكن أن يصحبه، أو يتبعه، خير أكبر**: ألا يؤثر قائد الجيش نصرا كبيرا، وإن جُرِح جرحا خفيفا؟ ألم تسبّب خطيئة آدم السعيدة تجسّد اللّه في يسوع، وما حمل الى الناس من خير؟

٢- **وضدٌّ يُظهرُ حسنَ ضدّه**: الفرح أكبر بعد الألم، واللوحة أجمل بظلالها.

٣- **فهو دون الخير في العالم**، في عالم الانسان نفسه.

www.alkottob.com

وإليك بعض ما جاء في (إلهيات) ليبنتز:

العالم أحسن عالم ممكن

علينا أن نبحث عن سبب وجود العالم... لأنّ هذا العالم الموجود ممكن الوجود، وثَمّة عوالم أُخرى لا نهاية لعددها قابلة للوجود مثله...، فعلى علّة العالم أن يكون على صلة بكلّ هذه العوالم ليعيّن واحداً منها...

وتعيين ممكنٍ دون سواه لا يمكن ان يكون سوى فعل ارادة تختاره...

الوجود شأن القدرة، والحقّ شأن الحكمة أو العقل، والخير شأن الإرادة.

وعلى تلك العلّة العاقلة أن تكون لا متناهية بكلّ ما فيها، تامّة كلَّ التمام قدرةً، وحكمةً، وجوداً، لأنّها تتّجه الى كلّ الممكنات.

وكلُّ المخلوقات متماسكة فلا مجال لأن تختار علّتُها أكثر من واحد...

وحكمة هذه العلّة السامية، وما يقترن بها من جود يضارعها في الكمال، عاجزةٌ عن اختيار ما دون الأحسن. أهون الشرّين نوعٌ من الخير، وخيرٌ أقلّ نوع من الشرّ...

يجب تصحيح نقصٍ في أفعال اللّه، إن كان ممكنا فعلُ ما هو أحسن...، فعلى اللّه اذاً أن يكون صنع الأحسن...

www.alkottob.com

ربَّ خصم يقول: كان يمكن أن يكون العالم خلوا من الخطيئة، ومن الآلام. أُنكرُ انّه كان صار أحسن، فكلّ شيء مترابط في كلِّ عالم من العوالم الممكنة. واللّه قد نظّم كلَّ شيء تنظيما واحدا، سبق فرأى الصلوات، والأفعال الحسنة والسيّئة، وكلّ ما سوى ذلك... فلا يمكن تغيير شيء في الكون... إن يغِبْ أقلّ شرٍّ في العالم... لن يبقى أحسنَ عالمٍ اختاره الخالق.

أجل، يمكن تخيّل عوالم ممكنة، خالية من الخطيئة والشقاء...، ولكنّ هذه العوالم نفسها، لو وُجدت، لكانت دون عالمنا حسنا...، والدليل اختيار اللّه لهذا العالَم كما هو.

ونحن نعلم أيضا أنّ شرّا ما يسبّب غالبا خيرا ما كان يمكن حصوله دون ذلك الشرّ، بل حدث غير مرّة صدور خير كبير عن شرّ... ألسنا نرتّل، في الكنيسة اللاتينيّة، في عيد الفصح: يا لخطيئة آدم السعيدة (Felix Culpa)، التي استحقّت لنا مخلّصا؟!...

وربّ قائلٍ يقول: الشرور كثيرة، عديدة، بالنسبة الى الخير. انّه يخطئ...! لو كنّا عادة مرضى، ونادرا أصحّاء، لكنّا نقدِّر كلَّ التقدير وضعنا الحسن، ونشعر أقلّ بما يحدث لنا من شرّ. أليس أفضل أن تكون الصحّة وضعنا العاديّ، والمرض نادرا؟...

اعتراضان وردّان

اعتراض: لم يخلق اللّه أحسن عالم فالقدرة تنقصه، أو المعرفة، أو الجود.

ولم يخلق اللّه أحسن عالم لأنّه خلق فيه الشرّ، أو لم يحجم عن خلق مثله.

www.alkottob.com

ردّ: أجل في العالم شرّ، وكان اللّه قادرا أن يخلق عالَما لا شرّ فيه أو يُحجم عن الخلق.

ولكن يمكن أن يصحب الشرّ خيرٌ أكبر: يؤثر قائد جيش نصرا كبيرا، وإن جُرِح جرحا خفيفا، على أن يفوته النصر والجرحُ معا.

انّ نقصا في الجزء يمكن أن يكون مطلوبا من أجل كمال أكبر في الكلّ. يقول القدّيس أوغسطينوس انّ اللّه سمح بالشرّ ليستخرج منه خيرا، أي خيرا أكبر. ويقول توما الأكويني انّ غاية السماح بالشرّ خيرُ الكون. خطيئة آدم أدّت الى تجسّد ابن اللّه، الذي أعطى الكون ما هو أسمى من كلّ ما يمكن وجوده في المخلوقات، دون ذلك التجسّد...

ويكفي للقضاء على الاعتراض أن نظهر أنّ العالم، والشرّ فيه، يمكن أن يكون أفضل من عالم لا شرّ فيه.

اعتراض: في الخلائق العاقلة يربو الشرّ على الخير ففي ما خلق اللّه يربو الشرّ على الخير.

ردّ: غير صحيح ما جاء في الاعتراض، فقد يكون ما في المخلوقات غير العاقلة من خير يربو على ما في المخلوقات العاقلة من شرّ.

أضفْ الى ذلك انّ الشرّ لا يربو على الخير حتّى في المخلوقات العاقلة، فقد يفوق كمالُ الابرار وسعادتهم نقص الأشرار وتعاستهم.

***

www.alkottob.com

سعادة ابن سينا وليبنتز

انطلق هذان الفيلسوفان من اللّه، علّة هذا العالم، ليقولا انّ العالم المعلول أحسن عالم ممكن، وانّ سعادة الانسان بالتالي أحسن سعادة ممكنة.

احسن عالم ممكن لا يعني انّه تامّ، خالٍ من كلّ نقص، واحسن سعادة ممكنة لا تعني أنّها تامّة، خالية من كلّ شقاء.

تظلّ هذه النظرة، وان تسلّم بصحّتها، ناقصة، لا تحدّد:

١- أنواع السعادات ٢- مستوياتها ٣- دور الانسان في بلوغها.

انّها سعادة نظريّة، غامضة، نُعلّل بها، ولا ندري كيف نحقّقها، فيسعى قادرٌ، ويُهمِل كسول، ويقصّر عاجز!

www.alkottob.com

www.alkottob.com

سعادة شوبنهور

غياب الألم والضجر

www.alkottob.com

شوبنهور

www.alkottob.com

شوبنهوّر (١٧٨٨ - ١٨٦٠) فيلسوف ألمانيّ متشائم.

ونتبيّن مذهَبه في كتابيه:

أ- العالم كإرادة وكتصوّر

نصيب الانسان من السعادة في هذا العالم يختلف، ويتفاوت، حسبما ننظر الى العالم كإرادة، أو كتصوّر:

أ- فالعالم كإرادة عذاب وضجر تتخلّلهما سعادة عابرة، وإليك الدليل:

١- **إرادة الحياة البقاء:** الإرادة والحياة تربان فحيثما تكنِ الارادة تكنِ الحياة، وحيثما تكن الحياة تكنِ الإرادة.

والحياة تريد البقاء، الاستمرار، واستمرارها استمرار النوع، وما الأفراد سوى نسخات تتعاقب، تولد وتموت، وسائل بقاء.

٢- **والبقاء شقاء:** انّ للانسان رغبات، للحياة كي تبقى رغبات، والرغبة، ما دامت رغبة، عذاب.

وتتحقّق الرغبة، تتحقّق رغبات، فيفرح الراغب، يشعر بنوع من السعادة.

ولكنّها سعادة لا تدوم، فالرغبات لا تنتهي، وما تحقّق منها لا يلبث أن يُصبح واقعا عاديا، سببَ شعور بالفراغ، فالضجر.

يتعذّب الانسان، اذ يرغب، ويتعذّب، اذ يضجر، وما سعادته سوى واقع عابر، والموت في نهاية المطاف[1] .

---

(١) ويكاد جبران يردّد ما يقول شوبنهور، اذ نقرأ في أحد مواكبه:

www.alkottob.com

٣- **والعدم خير من الوجود:** واذا كانت هذه هي الحياة، وإرادة الحياة، فخير للانسان زوالها، يخلف العدمُ الوجود، والراحة العذاب، وما من عاقل يروم معاودة حياته.

ب- العالم كتصوّر: العالم كإرادة شقاء، والعدم خير منه.

ويختلف الوضع، اذا ما نظرنا اليه كموضوع تصوّر نعرفه بالعقل، ونخبره بالحسّ، بجرّده من كلّ إرادة فيصبح سبب لذّة وسعادة.

يسع الحكيم أن يخفّف من شقاء الحياة، وينعم ببعض السعادة، اذا ما تحرّر من الإرادة، وسعى الى الحقّ والجمال والخير.

يعمل العقل فيبحث عن الحقّ، ويجد في التفكّر والتأمّل راحته وهناءه.

ويُقبل الانسان على الفنّ، يتذوّق الشعر، والموسيقى، والرسم، والنحت، وحدائق الزهور.

ويشفق على الانسان، هذا الانسان المظلوم المعذَّب، يخفّف عنه ما استطاع واقع عذابه المرير.

ج- ولكنّ الإرادة أقوى: العالم كتصوّر مجال سعادة فكريّة، وفنيّة، وشفقة، ولكنّ إرادة الحياة أقوى، والتعاسة أغلب، وزوالنا خيرٌ لنا.

***

وما السعادة في الدنيا سوى شبحٍ ... يُرجى، فإن صار جسما ملّه البشرُ...
لم يسعدِ الناسُ إلاّ في تشوّقهم ... الى المنيع فان صاروا به فتروا...
ليس في الغاب رجاءٌ ... لا، ولا فيه المللْ...
انّما العيش رجاءٌ ... إحدى هاتيك العللْ!

www.alkottob.com

وننقل لك من كتاب شوبنهور (العالم كإرادة وكتصوّر) نصوصاً محدودة تؤيّد ما عرضناه في الموجز السابق:

١

ما تريده الإرادة هو دائماً الحياة... فحيثما تكنِ الإرادة تكنِ الحياة.

٢

من طبيعة الإرادة ظهورها في الأفراد، والأفراد ظواهر عابرة، خاضعة بأشكالها لقانون الزمان، تولد وتموت...

الولادة والموت عرَضان من أعراض الحياة متكافآن، متساويان... ويُبطِل أحدهما الآخر...

ما الفرد، في نظر إرادة الحياة، سوى أحد مظاهرها، نموذج أو نسخة، فاذا ما مات فرد لا تشتدّ وطأة المرض على الطبيعة ككلّ، ولا على الارادة.

الطبيعة لا تسهر كلَّ سهرها على الفرد، بل على النوع وحده، فهو وحدَه يعنيها، وعلى استمراره تحرص.

٣

اذا ما حال حائل دون الإرادة ومبتغاها كان الألم. واذا ما حُقّق المبتغى كان الرضى، والهناء، والسعادة...

كلّ شهوة وليدةُ نقص، وليدة حالة لا تُرضينا، فهي ما دامت قائمة ألم.

www.alkottob.com

وارتواء الشهوة لا يدوم فهو منطلق الى شهوة جديدة.

الشهوة، حيثما وجدت، لا تُروى، تُحرَم، فهي دائما في حالة ألم. لا نهاية للجهد، فلا اعتدال ولا نهاية للألم.

٤

تتفاقم التعاسة على قدْر ما تتّضح المعرفة، ويرقى الوعي، انّها تبلغ لدى الانسان ذروتها، وتكبر على قدر ما ينعم الفرد بنظرة أوضح، وذكاء أرقى: العبقريّ أتعس الناس.

٥

في طبيعة كلِّ إرادة حاجة، نقص، وبالتالي ألمٌ، فالانسان طبيعيّا، وضروريّا، فريسة الألم.

أمّا اذا لم تشعر الإرادة بحرمان، أو اذا حصلت على ما ينقصها، ولم يبقَ لها ما تشتهيه، فإنّها تجد نفسها في فراغ هائل، في الضجر، وتُصبح طبيعتها ووجودها عبئا لا يُطاق، فالحياة اذاً تتمايل، كرقّاص الساعة، من اليمين الى اليسار، من الألم الى الضجر...

ومن هذا الواقع الى هذا الأمر الغريب: وضع الناسُ كلَّ ألم، وكلّ عذاب، في الجحيم، فما وجدوا ما يملأون به السماء سوى الضجر...

وضِع الانسانُ على الأرض مُهمَلا، غيرَ واثق من أيّ شيء سوى من حاجاته، وعبوديّته: عنايتُه باستمرار وجودُه، على ما تتطلّب من مقوّمات صعبة المنال، متجدّدة كلَّ يوم، تكفي عادة لملء حياة انسان.

www.alkottob.com

أضِف حاجةً أخرى تابعة للأولى هي استمرار النوع البشريّ، فمن كلّ جهة، وفي الوقت ذاته، تحفّ بالانسان أخطارٌ متنوّعة لا تُحصى، وهو لا ينجو منها الاّ بحذرٍ متّصل. انّه يتابع طريقه بخطى حذرة، ونظر قلق، متلفّتا في كلّ اتّجاه، فألفُ مفاجأة تترصّده، وألفُ عدوّ!

ليست الحياة بالنسبة الى سواد الناس سوى معركة متّصلة من أجل البقاء نفسه، مع العلم اليقين انّ الهزيمة هي النهاية.

والدافع الى معاناة هذا النضال المؤلم ليس حبّ الحياة قدر ما هو الخوف من الموت المختبئ هنا، في مكانٍ ما، المستعدّ للظهور في أيّ لحظة...

كلّ الحياة الانسانيّة تنقضي ما بين الشهوات وتحقيقها. الشهوة بطبيعتها ألم، وتحقيقها لا يلبث ان ينقلب الى ارتواء، فالهدف كان وهماً، والحصول عليه أفقده متعته. الشهوة تتّخذ شكلا جديدا، ومعها الحاجة، وإلاّ كان القرف، والفراغ، والضجر، وكلّهم أعداء أقسى من الحاجة.

اذا ما تعاقبت الحاجة وقضاؤها تعاقبا معتدلا، لا طويلا ولا قصيرا، هبط الألم، نتيجةُ الاثنين، الى أخفّه، وكانت أسعد حياة.

وفي الحياة أوقات قد ندعوها أجمل أوقات الحياة، وأفراح قد ندعوها أصفى الأفراح، تخرج بنا من العالم الحقيقيّ، وتحوّلنا الى متفرّجين على هذا العالم، خالين من أيّ غرض، انّها أوقات المعرفة الخالصة، المجرَّدة من كلّ رغبة، التمتّعُ بالجمال، اللذّةُ الحقّ.

www.alkottob.com

على انّنا لا نفرح هذه الأفراح إلاّ اذا نعمنا بطاقات نادرة، فهي شأن قلّة، وتمرّ مع ذاك مرور الحلم. هذه الأفراح من نصيب عقل متفوّق دون سواه...

ولكن مهما تفعلِ الطبيعة، والسعادةُ نفسها، وأيّاً يكنِ الانسان وما يملكه، فالألم طبيعة كلِّ حياة، ولا ينجو منه أحد.

٦

مآلُ ما ينفقه الانسان من جهد متواصل ليطرد الألم تغييرُ مظهره: انّه في الأساس حرمان، حاجة، همُّ الحفاظ على الحياة:

فإن تنجحْ، وتطردْ هذا النوع من الألم، عاد بألفِ نوعٍ آخَر، تبدّل مع العمر، والظروف، عاد شهوةً جسديّة، أو حبَّ عاشق، أو حسدا، أو بغضا، أو قلقا، أو طموحا، أو بخلا، أو مرضا...

وإن يُخفقِ الألم فلم يجد مظهرًا يتنكّر به، اتّخذ مظهرا كئيبا، حزينا، مظهرَ القرف والضجر!

٧

الألم ملازم للحياة، والطبيعة حدَّدت درجته بالنسبة الى حيٍّ حيّ، فتغيّراته المفاجئة سطحيّة، ولا شيء يتغيّر في العمق.

التمادي في الحزن والفرح يقوم على ضلال، على وهم... ويجب بالتالي الإحجام عن هذين النوعين من التطرّف...

كلُّ توهّم من هذا النوع ذروة، وعلى صاحبه الهبوط منها، وشبحٌ سيتوارى، ولن يفعل سوى أن يسبّب لنا همّا تفوق مرارته فرحنا السابق. هي طبيعة كلِّ علوّ لا يمكن العودة منه سوى

www.alkottob.com

بالسقوط، فيجب الهرب منه. وما الألم المفاجئ الفادح سوى هذا السقوط، زوال ذلك الشبح.

٨

السعادة... واقعٌ سلبيّ، لا ايجابيّ فيه... انّها إشباع رغبة.

الرغبة حرمان، شرطُ كلِّ متعة لاحقة، فإن أُشبِعت توقّفت وتوقّفتِ المتعة.

ليس إشباع الرغبة والرضى سوى نجاة من الألم، من الحاجة... فالحاجة ألم!...

كلّ سعادة سلبيّة، لا ايجابيَّ فيها. لا استمرار لرضىً، أو قناعة، فما هذان في الحقيقة سوى توقّف ألم، أو نهاية حرمان...، ويليهما حتما همّ جديد...، انتظارٌ دون موضوع، ضجر!

٩

الشِّعر، الذي يصف جمال الطبيعة، ويقتصر على هذا النوع من المعرفة الخالصة، الخالية من كلِّ إرادة، هو في الحقيقة السعادة الحقّ الواحدة، لأنّها ليست سعادة سبقها الألم والحاجة، ويعقبها الأسف والألم وفراغ النفس والقرف، بل السعادة الواحدة القادرة على أن تملأ الحياة كلّها، أو على الأقلّ بعض هنيهات منها.

وما نراه في الشِّعر نجده في الموسيقى: النغَم يقدّم لنا ما يشبه تاريخا داخليّا، تاريخ إرادة وعت أسرار الحياة، والشهوة، والألم، والفرح، مدَّ القلبِ البشريّ وجزْره...

www.alkottob.com

انّما لا تُطِل هذا النغم، إن تُطِلْه يكن الرتوب المتعب الفارغ، يكنِ الضجر!

ما من هناء ممكن بدائم!...

١٠

ما حياة كلٍّ منّا إن ننظرْ اليها نظرةً عابرة، مكتفين بالخطوط البارزة، سوى مأساة حقيقيّة. وإن نتطرّق الى التفاصيل تتّخذْ منحى ملهاة.

لكلٍّ يوم شغله وهمّه. لكلّ هنيهة خداعها الجديد. لكلّ اسبوع رغبته وخوفه. لكلّ ساعة خيبة أملها. الاتّفاق دائما حاضر ليقوم بعملٍ ما خبيث. لمشاهدُ ملهاةٍ كلُّ ذلك!

ما من شهوة تُستجاب، وكلُّ جهد يُنفق باطل، والقدَر الذي لا يرحم يحطّم الآمال، والأوهام القاسية نسيج الحياة، والألم في تعاظم، ونهاية كلٍّ ذلك الموت! يكفي كلّ ذاك لكتابة مأساة!

١١

يكفي أن تجوز أحلام الشباب، وتقيم وزنا للاختبار، لاختبارك واختبار الآخرين، وتعرف نفسك معرفة أفضل انطلاقا من سيرتك، أو من تاريخ الغابر والحاضر، ومن مطالعة الشعراء الكبار، ومن تحرير أحلامك من الأوهام الموروثة، يكفيك كلّ ذلك حتّى توجزَ الأمور هكذا:

عالم الانسان عالم الاتّفاق والضلال، اللّذين يدبّران الأشياء، كبيرَها وصغيرها، دون ما شفقة. وبجوارهما تسير الحماقة والخبث، وبيدهما السوط.

www.alkottob.com

وترى أنّ انجاز أيِّ شيءٍ حسنٍ شاقٌّ، وأنّ ظهور ما هو نبيل وحكيم نادر، عسيرُ التحقيق، وعسيرٌ إطلاع الناس عليه.

بل ترى سائدا ما هو سخيف، وأحمق في مجال الفكر، وما هو مبتذل عديم الذوق في مجال الفنّ، وما هو شرّ ومكر في باب السلوك...

الجيّد من كلِّ نوع حالة شاذّة، وحيدة، ضائعة وسط ملايين غيرها...

وفي الحقيقة قد لا تجد انسانا واحدا رزينا صادقا يشتهي، في نهاية حياته، معاودتها، ولا يؤثر كلَّ الإيثار العدمَ المطلق!

١٢

إن يضعوا أمام عيوننا الآلام، والعذابات الهائلة، التي تعرِّضنا لها الحياة، يدبّ فينا الذعر.

خذْ أكثر الناس تفاؤلا، وتجوّل به في المستشفيات، والمحاجر الصحيّة، وقاعات الجراحة حيث يُعذَّب الناس عذاب الشهداء، وفي غرفِ التعذيب، ومحطّات العبيد، وفي ساحات المعارك، وأماكن الإعدام... يرَ حينئذٍ أحسن عوالمه الممكنة![1]

١٣

لا يسعني كتم رأيي: التفاؤل، عندما لا يكون ثرثرة جوفاء...، رأي كفرة، سخريّة مقيتة إزاء ما نرى من آلامٍ بشريّة يعجز عن وصفها اللّسان.

---

(١) إشارة الى ليبنتز القائل: انّ هذا العالم أحسن عالم ممكن.

www.alkottob.com

ولا يجوز الاعتقاد انّ الإيمان المسيحيّ موافق على التفاؤل، بل العكس هو الصحيح، ففي الإنجيل العالَم والشرّ أشبه بمترادفَين!

١٤

علينا أن ننظر الى الموت، دون أيّ ريب، على أنّه هدف الحياة الحقيقيّ. لدى حصوله يتقرّر كلُّ ما لم يكن مجرى الحياة كلُّه سوى إعدادٍ له ومقدّمة.

الموت نتيجة الحياة، موجَزٌ لها، أو المجموع المنجَز، الذي يعبّر، مرّة واحدة، عن كلِّ ما كانت الحياة تعلّم بالتفصيل جزءا جزءا. انّه يعلّمنا أنّ كلّ رغبات الحياة كانت باطلة، فارغة، ملأى بالمتناقضات، وأن الخلاص في العودة...

عقبات الحياة، وآمالها الخائبة، ومخطّطاتها المحبَطة، وآلامها الثابتة، يهدمها الموت بضربة واحدة، يهدم كلّ ما أراد الانسان، ويتوّج هكذا كلَّ ما كانت تعلّمه إيّاه الحياة...

ولّما كان العقل شرط هذه العودة الى الوراء، وتوقّع الموت الصريح، ولّما كان هذان الحالان مقصورَين على الانسان دون الحيوان، فالانسانُ وحدَه يجرع كأسَ الموت....، والإرادة البشريّة وحدها قادرة على أن تتنكر لذاتها، وترذل الحياة.

واذا لم تتنكّر الارادة لذاتها فكلّ ولادة تحمل عقلا جديدا، مخالفا للعقول السابقة، الى أن تعرف طبيعة الحياة الحقّ، وترغب عنها.

www.alkottob.com

١٥

كلّ إرادة تصدر عن رغبة، أي عن نقص، أي عن ألم.

قضاء الرغبة يضع حدّا لذلك الألم.

ولكن ان تقضِ رغبة تظلّ عشرٌ على الأقل ممنوعة.

أضفْ الى ذلك: الرغبة تطول، ومقتضياتها تمتدّ الى ما لا نهاية له، وقضاء الرغبة قصير، ويُكالُ بالتقتير، وكلُّ ذاك الرضى سطحيّ: إن تقضِ رغبة تخلفْها حالا رغبة أخرى... فما من نيل مبتغى يُحدث رضىً طويلا ثابتا.

أمّا اذا جدّت مناسبة خارجيّة، أو دافعٌ داخليّ، وابتعدا بنا عن سيل الإرادة اللامتناهي، وحرّرا المعرفة من عبوديتها، فإن انتباهنا يتحوّل عن بواعث الإرادة، ويتصوّر الأشياء مستقلّة عنها، أي انّه ينظر الى الإرادة نظرة مستقلّة، موضوعيّة، لا شخصيّة...، ونصبح سعداء كلَّ السعادة...

وهذه الحالة حالةُ التأمّل الخالص... العالَم، كتصوّر، يبقى وحدَه، والعالم، كإرادة، يغيب...

انّ شرط اللذّة الفنيّة... تحريرُ المعرفة من عبوديّة الإرادة، نسيانُ الفرد نفسه، تحويلُ الوعي الى عالمٍ خالص، متحررٍ من الإرادة، ومن الزمان، ومن أيّ صلة!...

١٦

قولك في شيء ما إنّه جميل يعني انّه موضوع تأمّلنا الفنّي. وهذا يعني أنّ منظر ذلك الشيء يجعل منّا أشخاصا موضوعيين...، عالِمين، خالين من الإرادة...

www.alkottob.com

هبْك تتـأمّل تـأمّلا جماليّـا في جمـال الطبيعـة، قائمـةً في ذاتهـا كـانت أو في عمـل فنّـي...، فـاللذّة الغالبـة لـذّة المعرفـة الخالصـة، المستقلّة عن الإرادة.

١٧

الألم ملازم للحياة ملازمةً طبيعيّة دائمة، وكلُّ رغبة ألمٌ صادر عن حاجة، أو نقص. وتحقيق الرغبة ليس سعادة، بل نجـاة مـن ألم. والفرح كذبٌ على الرغبـة، إيهـامٌ بأنّـه خـير ايجـابيّ، ومـا هـو في الحقيقة سوى شيء سلبيّ، سوى نهاية شرّ. وبالتالي ما الذي نفعلـه نحن نحو الآخرين، ما يفعله رفقنا، وشفقتنا، وسخاؤنا؟ انّنا نسـكّن آلامهم. وما الـذي يحدونـا علـى القيـام بأعمـال حسـنة، بتسـكين آلامهم؟ انّه اطّلاعنا علىتلك الآلام...، وما حنوّنا سوى شفقة!

***

ب- خواطر في حكمة الحياة

في الكتاب السابق، "العالم كإرادة وكتصـوّر" رأى شـوبنهور في العالم، **كإرادة**، مصدر عذاب وشقاء، و **وكتصـوّر** سـبب لـذّة وهناء.

أمّا في كتابه هذا، في "خواطر في حكمة الحياة"، فهو يتوخّـى هدايتنا الى ما فيه سعادتنا، وهـي في **مـا نحـن، لا في مـا نملكـه، أو يراه فينا الناس.**

ويتمادى شوبنهور في الكلام على أوضاعنا الثلاثـة (مـا نحـن، وما نملك، وما يقدّره الناس فينا)، ثمّ يتبع بحثه:

www.alkottob.com

١- بحكم عامّة.

٢- بسلوكنا في ما يخصّنا، ويخصّ الآخرين، وبالنسبة الى مسيرة العالم، والحظّ.

٣- باختلاف فصول الحياة الانسانية.

لا يتّسع هذا البحث للتطرّق الى التفاصيل، فطالعِ الكتاب، وقد لا تندم، أو أقنع بما ننقله لك من شذرات:

أوضاع الانسان

ثلاثةٌ أوضاع الانسان الأساسيّة:

١- ما **هو**... أي صحّته، وقوّته، وجماله، وطبعه، وخلُقُه، وعقله، ونموّ هذا العقل.

٢- ما **يملك**، كل أنواع الممتلكات.

٣- ما يمثّل... من شرف، ومكانة، ومجد...

الانسان في ذاته

ما هو ذاتيّ أهمّ لسعادتنا من كلّ متعاتنا الخارجية، وهذا ظاهر في كلِّ شيء انطلاقا من الجوع، أفضل الطهاة...

الصحّة أهمّ من كلِّ الخيرات الخارجيّة فمتسوّل متمتّع بالصحّة أسعد من ملك مريض.

انّ طبعا هادئا رائقا، ثمرةَ صحّةٍ تامّة، وتنظيمٍ حسن، وعقلا واضحا، ذكيّا، نافذا، سديدا، وإرادةً متأنّية، سهلةَ القرار، حصيلةَ ضمير قويم، لمكاسبُ لا يُغني عنها أيُّ مقام، أو أيّ غنى.

www.alkottob.com

ما هو الانسان في ذاته، ورفيقُه في وحدته، ما يعجز أيُّ انسان أن يمنحه إيّاه، أو ينتزعه منه، لأهمُّ، دون ريب، من كلّ ما يسعُه ملكُه، أو يكون في نظر الناس.

يجد الوحيد المفكّر في أفكاره الشخصيّة، وفي تخيّلاته، ما يتلهّى به وينعم، ويعجز الكائن المحدود عن التملّص من عذاب الضجر، مهما نوّع الأعياد، والمشاهد المسرحيّة، والنزهات، والملاهي.

الوحيد

يجني الانسان، المتفوّق عقليّا، اذا ما لاذ بالوحدة، نوعين من النفع:

الأوّل خلوّه بنفسه، والثاني بعدُه عمّن سواه.

ونقدِّر كلَّ التقدير بعدَه هذا، اذا ما فكّرنا في كلّ ما ينطوي عليه التعاطي البشريّ من قهر وعناء، ومن مخاطر أيضا...

قدرتنا على الاستغناء عن المجتمع سعادة كبيرة، لأنّ بلايانا تكاد تصدر كلّها عن المجتمع، وراحةُ البال، أهمُّ عناصر سعادتنا بعد الصحّة، تصبح في خطر.

رأي الآخرين

أهمُّ ما يتطلّبه رغدُ العيش الصحّة، ووسائلها الضروريّة، وبالتالي وجودٌ خلوٌ من الهموم.

الشرف، والتألّق، والعظمة، والمجد، مهما أضفيتَ عليهم من قدْر، لعاجزون عن منافسة تلك الخيرات الجوهريّة، والاستعاضة بهم عنها.

www.alkottob.com

فمن النافع اذاً كلَّ النفع أن نعرف، في الوقت المناسب، هذا الأمر البسيط، وهو أن نحيا أولاً، وواقعا، في جلدنا الخاصّ، لا في رأي الآخرين. انّ واقعنا الشخصيّ، الطبيعيّ والحقيقيّ، واقع الصحّة، والطبع، والقوى العقليّة، والرضى، والزوج، والأولاد، والبيت... لأهمُّ مئة مرّة بالنسبة الى سعادتنا ممّا يحلو لسوانا أن يصنعوا منّا...

إن تهتفْ مباهيا: "الشرف أهمّ من الحياة!" فأنت تقول، في الحقيقة، انّ الحياة والصحّة لا شيء، وانّ المطلوب ما يُفكّر الناس فينا!

الحفاظ على الثروة

يرى الدكتور جونسون رأيي، اذ يقول:

"المرأة الغنيّة، المعتادة على انفاق المال، تنفقه بدراية.

أمّا المرأة، التي صارت فجأة غنيّة، بفضل زواجها، فإنّها تشعر بميل قويّ الى الانفاق، فتبذّر المال تبذيراً. وأنا أنصح من تزوّج فتاة فقيرة ألاّ يوصي لها برأسمال، بل بدخلٍ عاديّ، وأن يحرص كلَّ الحرص فلا يسلّطها على ثروة أولاده."

ولستُ أفعل ما ليس جديرا بقلمي إن أُوصِ بالحفاظ على الثروة مُحصَّلةً كانت أو موروثة.

غياب الألم والضجر

حكمة الحياة في ما قال ارسطو...: "يبحث الحكيم عن النجاة من الألم، لا عن اللذّة".

www.alkottob.com

صحّة هذه الحكمة تقوم على أنّ طبيعة كلِّ لذة، وكلِّ سعادة، سلبيّة، وإيجابيّةٌ طبيعة الألم...

أسعدُ انسان من قضى حياته دون آلام فادحة، نفسيّة أو جسديّة، لا الذي فرحَ أفراحا حارّة، او تمتّع بمتعات قويّة...، لأنّ اللذّات سلبيّة، وستظلّ هكذا...

واذا ما أضيف الى حالة غاب عنها الألم غيابُ الضجر، حصلت أتمُّ سعادة على الأرض، وكلُّ ما سوى ذلك أوهام.

الحاضر

الحاضر وحدَه واقع، واقعٌ لا ريب فيه.

أمّا المستقبل فقلّما يأتي كما نتوقّعه، والماضي أتى أيضا مختلفا، ويصبح المستقبل والماضي أهونَ شأنا ممّا يبدوان لنا... والحاضر وحده حقيقة واقعيّة.

وهل من حماقة تجوز حماقة من يرغب عن ساعة حاضرة جيّدة، أو يُفسِدها عمدا، يحدو به الى ذلك قلقٌ آتٍ، أو حزنٌ مضى؟!

الوحدة حريّة

ما من سبيل تبعدنا عن السعادة قدْرَ ما تُبعدنا حياةُ العظماء، حياةُ الأعراسِ والولائم...، لأن السعي الى تحويل وجودنا الشقيّ أفراحا متعاقبة، ولذّات ومتعات، لا يخلو من الشعور بخيبة الأمل، عدا التكاذب الملازم لتلك التجمّعات...

www.alkottob.com

لا يسعنا أن نكون ما نحن الاّ اذا ثابرنا على وحدتنا، فمن لا يحبّ الوحدة، لا يحبّ الحريّة. الوحيد وحده حرّ.

الاذعان للواقع

اذا ما حلّت بنا نكبة، واستحال علينا تلافيها، فلا نفكّرْ كيف كان يمكن أن تحدث حدوثا مخالفا، أو كيف كان يمكن الخلاص منها، فإنّ مثل هذا التفكير يبلغ بألمنا حدّا لا يُطاق.

العمل

أصاب ارسطو، اذ قال: الحياة حركة.

ليست حياتنا الجسديّة سوى حركة متواصلة، وبها تستمرّ، وتتطلّب حياتنا الداخليّة العقليّة شغلا دائما، أيّ شغل، عملا أو تفكيرا...

انّ إحجاما تامّا عن العمل يؤول بنا الى حال لا تُحتمل، ويؤدّي الى أفظع ضجر!

***

شوبنهور والسعادة

مواطن الضعف في تشاؤم شوبنهور متعدّدة:

١- فالرغبة عادةً لا تعذّب، بل تدفع الى العمل، والعمل يُتعب، ولا يشقي. ولو لم تكن لدى الانسان حاجات ورغبات، لما كان جهد وعمل، وكان الفراغ والضجر، على ما يرى شوبنهور نفسه!

www.alkottob.com

٢- والعادة تضعف من فرحنا بما تحقّق من رغبات، دون أو تؤدّي الى القرف، والضجر، والألم.

٣- ويحدّ شوبنهور من سعادة العالم كتصوّر، من دور الحقّ والخير والجمال في إسعاد الانسان سعادة تُنسي همّ رغبة، أو تعب تحصيل، أو ملل عادة.

٤- ويشطّ شوبنهور، بل يناقض نفسه، اذ يجعل من السعادة أمرا سلبيّا، غياب الألم، فكم في الحياة من وقائع إيجابية تسبّب لنا اللذّة والفرح!

متشائمٌ شوبنهور، ويغالي في تشاؤمه، يغالي ويضلّ.

www.alkottob.com

سعادة نيتشه

تفوّق وسيادة!

www.alkottob.com

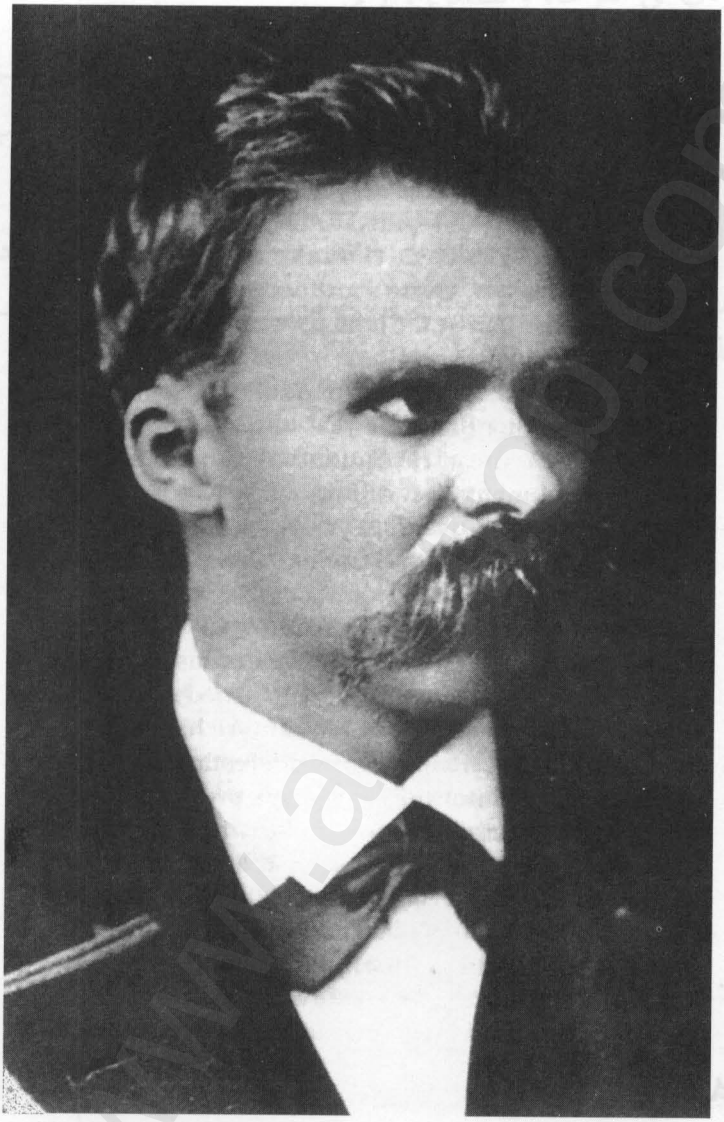

نیتشـه

www.alkottob.com

قرأ نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) كتاب شوبنهور (العالَم كإرادة وكتصوّر) فأُعجب به وتشاءم تشاؤم مؤلّفه.

ولكنّه تشاؤم لم يدم، بل تحوّل الى تفاؤل نقيض عنيف، وهذه أبرز معالمه:

أ- الإرادة ارادة اقتدار: لا، ليست الإرادة إرادة حياة، إرادة بقاء النوع البشري، وسببَ شقائه، كما علّم شوبنهور، فالمعدوم لا يريد، والموجود موجود.

الارادة إرادة اقتدار، إرادة مزيد من القدرة، فمزيد على مزيد، وذلك من أجل القيادة والسيادة.

ب- والمتفوّق هو السيّد: كان تطوّر من الدودة الى القرد، فمن القرد الى الانسان، والارادة تبغي مزيدا من التطوّر، تبغي وتعمل لكي تحقّق الانسان المتفوّق.

المسافة ما بين المتفوّق والانسان كالمسافة ما بين الانسان والقرد.

في الحجر تغفو منحوتة غفوَ المتفوّق في الانسان، وعلى كلِّ نحّات، على كلِّ مبدعٍ كنيتشه، أن يهدم القيمَ القديمة، قيمَ العبيد، ويُقيم القيمَ الجديدة، قيم السادة، قيمَ الانسان المتفوّق الآتي.

كلُّ ما يؤدّي الى ظهور المتفوّق مطلوب، الحقُّ والضلال، الخير والشرّ، اللذّة والالم، وكلُّ ما يحول منبوذ، وعلى الانسان أن يعمل ليظهر المتفوّق.

ج- والسيّد هو السعيد: المتفوّق هدفُ التطوّر، والمتفوّق هو القائد السيّد، وهو السعيد.

www.alkottob.com

د- والسعادة تعود مدى الأبد: ارادة الحياة، في نظر شوبنهور، رغبات تسبّب الألم، فخيرٌ للانسان لو لم يُوجد، وما من عاقل يبغي معاودة حياته.

ويناقض نيتشه شوبنهور: أجل في الحياة آلام، ولكنّ الألم كاللذّة سبيل الانسان الى التفوّق فالسعادة، وعلى ارادته أن تحبّ الحياة،

تحبّ الضحك والرقص، النضال والحرب، القيادة والسيادة... والسعادة.

ويتمادى نيتشه في تفاؤله، يؤمن بعودة العالم، هذا العالم، كما هو، دون زيادة أو نقصان، يعود دورةً اثرَ دورة، ويعاود كلُّ انسانٍ حياته السابقة.

الشقيّ يريد النهاية، نهايته ونهاية شقائه، أمّا السعيد فيروم البقاء، يرضى عن عودته الى هذه الحياة، الى حياته نفسها بكلِّ آلامها وهوانها، الى ما لا نهاية.

أنكرَ نيتشه وجود اللّه فأنكر سعادة أبديّة في السماء، فاذا به يؤمن بسعادة تتراجع على الأرض، دورةً اثرَ دورة، مدى الأبد. استبدل أبديّة اللّه بأبديّة الأرض، وسعادةً تامّة متّصلة بسعادة ناقصة متقطّعة.

***

وننقل لك نصوصاً تعبّر عمّا تقدّم من أفكار، ننقلها من رائعة نيتشه (كذا تكلّم زرادشت):

www.alkottob.com

النبيّ[1]

"... ورأيتُ حزنا عميقا يعمّ الناس، وأفضلهم سئم أعماله.

هي عقيدة انتشرت، وتبعها الناس: كلُّ شيء باطل، كلُّ شيء زائل، كلّ الأشياء سواء. وردّد الصدى من كلّ الروابي: كلُّ شيء باطل، كلّ شيء زائل، كلّ الأشياء سواء.

قطفنا ثمارنا فلمَ اكمدّ لونها، وفسدت؟ ما الذي هبط الليلة البارحة من القمر المؤذي؟

ذهبت جهودنا سدًى، واستحال خمرنا سمّا، وأصابتنا العيون فاشتعلت حقولُنا وقلوبنا، واحترقت.

جففنا جميعا، وان تقع علينا النار نتطايرْ هباءً. النار نفسها سئمت منّا.

كلّ ينابيعنا نضبت، والبحر أيضا تراجع. البرُّ ينهار، والبحر يأبى ابتلاعنا، فأنّى لنا بحر نغرق فيه؟ هذه شكوانا على امتداد المستنقعات.

الحقّ أنّ تعبنا فاق الحدّ فحال دون موتنا، ولهذا ما زلنا نسهر، ونعيش... في لحودنا."

(كذا تكلم زرادشت: القسم الثاني)

---

(١) النبيّ هو شوبنهور.

www.alkottob.com

قال زرادشت[1] ...:

الحقُّ، أيُّها الأصدقاء، انّي أسير ما بين الناس، وكأنّي سائر بين حطام، وأعضاء بشريّة.

وأفظع ما تقع عيناي عليه محطّم مبرَّد في ساحة حرب، أو مسلخ.

ومهما عدتُ بالذاكرة من الحاضر الى الماضي لا أجد، أنّى اتّجهت،سوى أشلاء، وأعضاء مبتورة، ومفاجآت هائلة، ولا أجد بشرا.

لستُ اعرف، اصدقائي، ما هو أثقل من حاضر الأرض وماضيها، وما كنت أطيق الحياة لو لم أكن نبيَّ المستقبل.

وما زرادشت سوى النبيّ، والمريد، والمبدع، والمستقبل، والجسر المؤدّي الى هذا المستقبل، وذي العاهة أيضا الواقف عند مدخل الجسر.

وكم مرّةٍ تساءلتم: ما زرادشت بالنسبة إلينا؟ وما ندعوه؟ وتجيبون كما أجيب، تطرحون اسئلة جديدة.

أهو الوعد أم من يُنفّذه، المغتصِب أم الوارث، الخريف أم سكّة المحراث، الطبيب أم الناقه؟

أهو الشاعر أم الصادق، المحرّر أم المستعبِد، البارّ أم الشرّير؟

---

(١) زرادشت هو نيتشه نفسه.

www.alkottob.com

أسير بين الناس كما بين أشلاء المستقبل، الذي يلوح لي في رؤياي.

وكلُّ أحلامي وجهودي جمعُ ما هو حطامٌ،وألغازٌ، ومفاجآت هائلة، أجمعه وأؤلّف بينه.

وكيف كنت أطيق أن أكون انسانا لو لم يكنِ الانسان شاعرا أيضا، وحالاً لألغاز، ومحرِرّا ممّا يقع اتّفاقا.

خلاص البشر الماضي قولُك "هذا ما أردتُه"...

الإرادة اسم المحرِّر، رسولُ الفرح. هذا ما علّمتكم إيّاه، أيّها الاصدقاء.

(كذا تكلّم زرادشت: القسم الثاني)

التفوّق على الذات

... أصغوا الآن الى ما أقول، يا أحكم الحكماء، تفحّصوا جدِّيا هل ولجتُ الى قلب الحياة، والى الجذور.

حيثما وجدتُ الحيّ وجدتُ إرادة الاقتدار، وفي إرادة الخادم نفسه وجدتُ الطموح الى أن يصير مخدوما.

إن يخدمِ الأضعفُ الأقوى فطمعا في أن يخدمه من هو أضعف منه. لا لذّة له سوى هذه اللذّة، ويأبى التخلّي عنها، وإرادته تُقنِعه.

يخضع الأصغر للأكبر ليجد لذّةً وقوّة في ما هو أصغر، ويستسلم الأكبر، يجازف بحياته من أجل السلطة.

www.alkottob.com

استسلام الأكبر جسارة وخطر، لعبةُ زهرٍ مع الموت.

التضحيات والخدمات ونظرات الحبّ إن هي إلاّ تعابير عن ارادة السيادة. وهكذا ينساب الأضعف، عبر سبل ملتوية، الى داخل الحصن، الى قلب الأقوى، ويسرق منه قوّته.

وأسرّت اليّ الحياة قالت: أنا ما عليه أن يتفوّق دائما على ذاته.

احسبوا هذا إرادة إبداع، أو اندفاعا الى الهدف، الى ما هو اسمى، وأبعد، وأغنى، فكلّ شيء واحد، سرٌّ واحد.

والزوال لأهونُ عليّ من العدول عن ذلك الشيء الواحد. رأيتم ذبولا وأوراقا تسقط، فاعلموا علما حقّا انّها الحياة تضحّي بذاتها من أجل القوّة.

إن يكن قدَري النضال، والتطوّر والسعي الى أهداف، وتصادمَ تلك الأهداف، فمن يعي إرادتي يعي أيَّ سبلٍ ملتوية سبلها.

مهما أُبدع، مهما أحبُّ ما ابدعت، فعليَّ أن انقلب عدوّا لما أبدعت، وعدوّا لحبّي، فكذا تشاء ارادتي...

لم يعثر على الحقيقة من نادى "بارادة الحياة"[1]، فهذه الإرادة غير موجودة: المعدوم لا يريد، وأنّى للموجود أن يريد الوجود؟

لا إرادة الاّ في الحيّ، ولكنّها ليست إرادة حياة، بل ارادة اقتدار.

---

(١) إشارة الى شوبنهور.

www.alkottob.com

في الحياة ما هو أغلى من الحياة، وما ينطق فينا بمثل هذا الكلام سوى إرادة الاقتدار؟

هذا ما علّمتنيه الحياةُ يوما... يا أحكم الحكماء!

(كذا تكلّم زرادشت: القسم الثاني)

المتفوّق

خطب زرادشت في الشعب قال:

أُعلّمكم ما المتفوّق.

وُجد الانسانُ للتفوّق فما فعلتم لتتفوّقوا؟

كلُّ الكائنات حقّقت حتّى الآن بعض التفوّق على ذاتها، وتريدون أنتم أن تكونوا جزْرَ تلك الموجة الكبرى، فتؤثرون العودة الى الحيوان على ان تجوزوا الانسان!

ما القرد في نظر الانسان؟ انّه سخريَّة أو عارٌ مُوجِع، وكذا الانسان في نظر المتفوّق: انّه سخرية أو عارٌ مؤلم.

جزتم المسافة ما بين الدودة والانسان، وما زال فيكم كثير من الدود.

كنتم قرودا، في ما مضى، وما زال الانسان حتّى اليوم قردا أكثر من أي قرد، بل ما زال أحكمكم هجينا، متباينا، مزيجا من النبات والأشباح. أفقلتُ لكم أن تصيروا أشباحا أو نباتا؟

ها أنا أُعلّمكم ما المتفوّق:

المتفوّق منحى الأرض. لتقلْ إرادتكم: ليت المتفوّق يصبح منحى الأرض!

www.alkottob.com

أتوسّل اليكم، إخوتي! ظلّوا للأرض أوفياء، ولا تصدّقوا من يعلّلونكم بآمالٍ تجوز الأرض. انّهم يدسّون السمّ، وهم يعرفون أو لا يعرفون.

انّهم يحتقرون الحياة فهم محتَضرون، مُسمَّمون، وتعبتِ الأرض منهم فليزولوا!

كان التجديفُ على اللّه، في ما مضى، شرَّ التجاديف، ولكنّ اللّه مات، ومات معه أولئك المجدِّفون على اللّه، وصار الشرّ الأكبر التجديف على الأرض!...

الحقّ أنّ الانسان سيلٌ قذر، ولا يسع سوى البحر استيعابُ سيلٍ قذر، ولا يتوسّخ.

وها أنا أعلّمكم ما المتفوّق: انّه ذلك البحر، واحتقاركم الكبير سوف يغرق فيه!

(كذا تكلم زرادشت: المدخل:٣)

المسافر

ما أنا الاّ مسافر، ومتسلّق جبال. السهول لا تستهويني، ولا اخالني قادرا على الاستقرار الطويل. وأيًّا يكن قدَري، وما يجري لي، فهو لا يعدو أن يكون دائما سفراً، أو صعودا. وما المآل سوى اختبار الانسان ما في نفسه.

مضى زمن المفاجآت، وما يمكن أن يحدث لي الآن، وما حدث.

أنا لا أفعل سوى العودة، العودة اليّ، تعود أجزاءٌ قضت زمنا طويلا مبدَّدةً ما بين الأشياء وصروف الزمان.

www.alkottob.com

وأعلم شيئا آخر أيضا: أجدني الآن أمام آخر ذُراي، أمام ما استُبقيَ لي أطولَ مدّة، وعليّ ان أسلك أوعرَ طرقي، وأوحش أسفاري.

ومن كان من طينتي لا ينجو من مثل هذه الساعة، ومن ساعة تقول لي: لقد بدأتَ الان تشقّ طريقك الى العظمة، ولا فرق بين ذرًى ووهاد!

تشقّ طريقك الى العظمة، وما كان أكبرَ خطرٍ عليك أصبح الآن آمنَ ملجإ.

تشقّ طريقك الى العظمة، فعلى شجاعتك القصوى الآن ألاّ يبقى طريق وراءَك.

تشقّ طريقك الى العظمة، ولن يندسّ أحدٌ وراءَك. قدماك أنفسهما محتا طريقا اجتزتَها، وعليها كتِب: مستحيل.

وإن عازتك كلُّ المعارج غداً فعليك أن تتسلّق رأسك، وإلاّ فكيف يسعك الصعود؟ تسلّقْ رأسك، وتسلّقْ بعده قلبك، يصبحْ أشقُّ ما كان أسهلَ ما يكون.

من أفرط في الإحجام عن الشاقّ آل به إفراطه الى المرض. تبارك ما يصيّر أصلب، فلا خير في بلاد تدرّ السمن والعسل.

(كذا تكلّم زرادشت: القسم الثالث).

www.alkottob.com

١٥

سمعتُ أتقياء يعيشون على أوهام الآخرة، يناجون ضمائرهم، وليس في نيّتهم كذبٌ أو دهاء، يناجونها بمبادئ لا أضلَّ منها في العالم، ولا أضرّ، يقولون:

"دعِ العالم على حاله، لا تمسَّه ولو بطرف إصبعك، لا تحرّكْ إصبعا لتردع من يريد خنق الناس، أو طعنهم، أو نحرهم، أو سلخهم، فذلك يعلّمهم الزهد في العالم.

أمّا عقلك فعليك أن تُمسِك بخناقه، وتخنقه، لأنّه عقلٌ من هذا العالم، وبذلك تتعلّم الزهد في العالم."

حطّموا، إخوتي، حطّموا الألواح القديمة، ألواح الأتقياء، أقضموا بأسنانكم أقوال المفترين على العالم.

٢٣

أريدُ الرجل أهلاً للحرب، والمرأة اهلا للأمومة، وكليهما أهلا للرقص بالقدَمين والرأس.

ضائعٌ يومٌ لا نرقص فيه ولو رقصةً واحدة، وكلامٌ باطل حقيقةٌ لا تصحبها قهقهةٌ واحدة!

٣٠

أيّتها الإرادة، إرادتي، وقدَري! دعي كلَّ الصغائر، وأنقذيني من كلِّ نصرٍ حقير.

www.alkottob.com

يا مصيري، وقدري، الكامن فيَّ، وفوقي، احفظني، وأعددْني الى مصير عظيم.

واحتفظي، يا إرادتي، بعظمتك الأخيرة للمأثرة الأخيرة، للتصلّب في النصر.

(كذا تكلّم زرادشت: القسم الثالث).

الانسان العظيم

١

لّما اتيتُ الناس لأوّل مرّة ارتكبتُ ما يرتكبه الوحيد من جنون، الجنون العظيم: حللتُ في الساحة العامّة.

خاطبتُ كلَّ الناس فما خاطبتُ أحدا!...

ولكنّ حقيقة جديدة أتتني، اذ أتى الصباح الجديد، تعلّمتُ أن أقول: مالي وللساحة العامة، ولرَعاع الناس، وجلبتِهم، وآذانهم الطويلة؟!

تعلّموا هذا منّي، أيّها العظماء: ما من أحد، في الساحة العامّة، يؤمن بالانسان العظيم، وإن شئتم الكلام، في تلك الساحة، فافعلوا، ولكنَّ الرَعاع سيتغامز عليكم قائلا: كلُّنا متساوون!

كذا يتكلّم الرعاع، أيّها العظماء، يتغامز ويقول: ما من عظماء فكلّنا متساوون. الانسان إنسان فكلّنا أمام اللّه متساوون!

www.alkottob.com

٣

المتفوّق همّ قلبي، همّي الأوّل، بل همّي الواحد هو، لا الانسان، ولا القريب، ولا الأفقر، أو الأشقى، أو الأفضل...

لقد احتقرتم، ايّها العظماء، وهذا ما يبعث فيّ الأمل، فأكثر الناس احتقارا أجدرهم بالاحترام.

لقد يئستم، وهذا ما يستحقّ التقدير، فانتم ما اعتصمتم بالصبر، ولا لجأتم الى صغائر الفِطن.

صغار الناس سادةُ اليوم، وكلّهم يدعو الى الاستسلام، والتواضع، والفطنة، والكدّ، والمداراة، وكلّ ما هنالك من حقيرات الفضائل.

ما هو امرأة، وعبد، وغوغاء، يبغي اليوم تسلّم مقاليد المصير الانسانيّ، فيا للإشمئزاز!...

علينا، إخوتي، قمعُ سادة الساعة، صغار الناس هؤلاء، فهم أكبر خطر على المتفوّق!...

(كذا تكلم زرادشت: القسم الرابع)

في الحجر تغفو منحوتة

في الحجر، أيّها الناس، تغفو منحوتة أبحث عنها، منحوتة المنحوتات. ولماذا هي تغفو في أصلب حجر وأقبح؟

إزميلي يقسو الآن، يفجّر هذا السجن. وما همّ اذا ما فجّره شظايا؟

www.alkottob.com

سأُنهي نحتَ هذه المنحوتة. انّ طيفا ظهر لي. زارني أصمتُ ما في العالم وأخفّ، جمالُ المتفوّق زارني كالطيف.

(كذا تكلّم زرادشت: في الجزر السعيدة: القسم الثاني)

المحاربون

أنا أحبّكم، أيّها الإخوة المحاربون، ومن صميم الفؤاد...، فدعوني أقول لكم الحقيقة...

عليكم أن تكونوا ممّن يبحث دائما نظرهم عن خصم، عن خصمكم، وأن تكون أوّل نظرة لدى بعضكم نظرة بغض.

ابحثوا عن عدوّ، حاربوا من أجل أفكاركم. وإن تُهزَمِ الفكرة فعلى اخلاصكم أن يُنشِد نشيد النصر.

أحبّوا السلام وسيلةً الى حروبٍ جديدة، والسلام القصير خير من السلام الطويل.

لا أنصحكم بالعمل، بل بالكفاح، لا أنصحكم بالسلام بل بالنصر. ليكن عملكم كفاحا، وسلامكم نصرا!

تقولون إنّ القضيّة العادلة تقدّس الحرب نفسها، وأقول لكم إنّ الحرب الرابحة تقدِّس كلَّ قضيّة.

حقّقتِ الحرب والشجاعة ما لم يحقّق حبُّ القريب من عظائم، وما أعانَ البؤساء، حتّى اليوم، رحمتكم[1]، بل بطولتكم.

---

(١) إشارة الى شوبنهور، الذي دعا الى الشفقة على الانسان المعذّب.

www.alkottob.com

تقولـون: مـا الخـير؟ الخـيرُ أن تكـــون بطـــلا، ودعِ الفتيـــاتِ اليافعات يقلن: الخير ما كان فاتنا، ومثيرا معا...

أحبب الحياة حبَّك أسمى أمـل، وليكـن أسمى مـا تفكّـر فيـه الحياة.

ودعْني أحدّد لك اسمى ما تفكّر فيـه، فهـو هـذا: الانسـان مـا يجب التفوّق عليه.

(كذا تكلم زرادشت: القسم الأوّل).

العودة الأبدية

١- إحذرْ، يا انسان!

٢- ما يقول منتصفُ الليل العميق؟

٣- لقد نمتُ، لقد نمتُ،

٤- وأفقتُ من حلمٍ عميق.

٥- العالم عميق،

٦- أعمق ممّا يعتقده النّهار.

٧- عميقٌ ألمُه،

٨- ولكنّ فرحه أعمق.

٩- يقول الألم: اعبرْ، وانتهِ!

١٠- ولكنّ الفرح يبغي الخلود،

١١- الخلود السحيق.

www.alkottob.com

سعادة نيتشه

نيتشه الملحد نقيض نيتشه المسيحيّ، ابن القسّ اللوثريّ، وحفيد القسّين، ولا نتصدّى لإلحاده[1] لنظلّ في ما نحن بصدده، في موضوع السعادة.

ونيتشه المتفائل نقيض شوبنهور المتشائم، ثار عليه بعدما اقتفى خطاه، على ما يظهر في هذه اللوحة:

شوبنهور	نيتشه
١- الحياة ارادة بقاء	الحياة ارادة اقتدار
٢- ارادة البقاء شقاء	ارادة الاقتدار تؤول الى سعادة
٣- العدم خير من الوجود	الوجود خير من العدم
٤- لا يروم عاقل معاودة حياته	يروم نيتشه معاودة حياته دوراتٍ لا نهاية لها.

عرضنا، في ما سبق، رأينا في تشاؤم شوبنهور. أمّا بالنسبة الى تفاؤل نيتشه فأهمّ ما نراه:

١- الحياة ارادة بقاء، على ما يعلّم شوبنهور، وما ارادة الاقتدار، ارادة التفوّق والسيادة، سوى وسيلة من أجل بقاء أفضل وأطول.

٢- ارادة البقاء وارادة الاقتدار تستلزمان العمل الدؤوب، الجدّ والنضال والتعب، ونؤيّد حبّ نيتشه للحياة لتقدّمها وتفوّقها، على احتقار شوبنهور.

---

(١) تصدّينا له في كتابنا (جبران ونيتشه) فراجعه إن شئت.

www.alkottob.com

٣- ونؤثر بالتالي الوجود على العدم، موقف نيتشه على موقف شوبنهور.

٤- أمّا معاودة الحياة على أرضنا فحلمٌ، بل وهم، ونحن لا يعنينا سوى الممكن والواقع.

٥- والانسان المتفوّق انسانٌ مأمول، مستقبليّ، آتٍ أو غير آتٍ، ويبقى تحديد مدى تفوّقه، ونوع هذا التفوّق أو انواعه.

www.alkottob.com

سعادة ألان

اعمل تَسعَد وتُسعِد!

www.alkottob.com

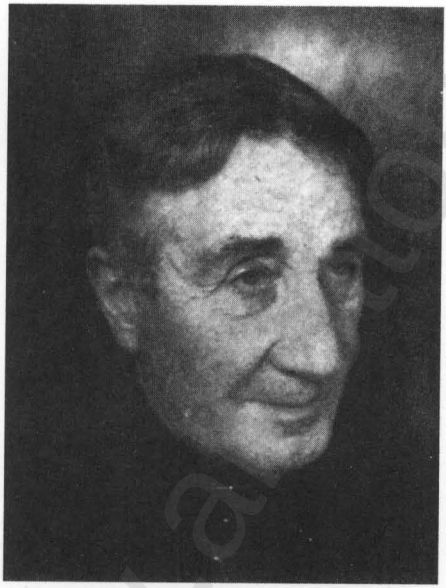

ألان

www.alkottob.com

لآميل شارتيه، المعروف بألان (Alain) (١٨٦٨-١٩٥١) غير مقال في السعادة. وممّا قال:

أ- التعاسة واقع، ومن السهل أن تكون تعيسا، أن تمرض، وتضجر، وتفشل، وتيأس...

ب- والسعادة واقع، ومن الصعب أن تكون سعيدا، أن تسلم من أسباب التعاسة، وتحظى بأسباب الهناء.

ج- انّما عليك أن تكون سعيدا، وتُسعِد الآخرين. وأهمّ الوسائل:

١- **لا تبحث عن السعادة**، فهي حاضرة أو غائبة، وتهرب منك كظلّك إن أنت طاردتها.

٢- السعادة **في العمل**، في الجهد والإبداع، والويل للكسول، "لمن لم يبقَ له ما يهدمه أو يبنيه."

٣- انّما على العمل **أن يكون حرّا** فالعبد والمأمور لا يجنيان من عملهما السعادة.

٤- وعلى العمل أن **يكون صعبا** فسعادته في التغلّب على صعوبته.

د- وعلى طالب السعادة أن يرضى عمّا لا مفرّ من حدوثه في هذا العالم. أحببِ الكون كما هو[1].

---

(١) موقف رواقيّ.

www.alkottob.com

هـ– وعليه أن يكون **بشوشَ الوجه**، مرِحا. لا تحدِّثْ جلساءك واصدقاءك عمّا تعانيه من أوجاع ومكاره... فمن واجبك إسعاد الآخرين.

و– اعملْ لتسعَد، وتُسعِد الآخرين، فالسعادة **واجب، وفضيلة.**

ومن أقوال ألان في السعادة:

الملك يضجر

لا سعادة خالية من بعض القلق، أو الهوى، أو الألم.

نحن أحظى بالسعادة عادة عن طريق الخيال منّا عن طريق الواقع[1] ... من لا يعمل شيئا لا يحبّ شيئا... واللذّة في الصعب. (كان ملك يلعب بالورق فاذا خسر غضب... واتّفق ملاعبوه فصار يربح دائما، فترك اللعبة، وانصرف الى الصيد). (١٩٠٨)

فنّ السعادة

علينا أن نعلّم أولادنا فنّ السعادة، لا سعادة الرواقيين، اذا ما بليّة حلّت بهم، بل سعادة من كانت أوضاعهم محتملة، وكلّ مرارة الحياة بعض ملل أو قلق.

القاعدة الأولى ألاّ يحدّثوا الآخرين عن مصائبهم الحاضرة، أو الماضية، فخروج على الأدب أن يصفوا لهم وجع رأس، أو قيئا، أو

---

(١) الفكرة فكرة كنط.

www.alkottob.com

حموضة، أو مغصاً، وإن بعبارات مصطفاة... الناس يسعون الى الحياة، لا الى الموت، ويبحثون عمَّن يحيون، عمَّن يقولون انّهم سعداء، ويبدون كذلك...

ومن هذا الباب، في فنّ السعادة...، أن يزهو وجهُنا اذا ما الطقس تجهّم. (١٩١٠).

انتصارات

إن تبحث عن السعادة قُضي عليك بالفشل في الحصول عليها...، فالسعادة لا تكون سعادة إلاّ اذا تمتّعتَ بها.

إن تبحث في العالم، خارجا عنك، فلن تجد أبداً ما له مظهر السعادة.

وإن أختصرِ الكلام فالسعادة لا يمكن توقّعها، أو التّفكير فيها، بل يجب الحصول عليها الآن. إن تبدُ حاصلة في المستقبل فهي، إن تُحسنِ التفكير، قد حصلت. سعادة مأمولة سعادة حاصلة...

السعادة مكافأة من لم يبحثوا عنها. (١٩١١)

المزارعون السعداء

العمل أفضل شيء، وأسوأ شيء: انّه أفضل، اذا قام به حرّ، وأسوأ اذا قام به عبد.

العمل الحرّ عمل ينظّمه العامل نفسه استنادا الى معرفته، وخبرته، عمل نجّار يصنع بابا...

www.alkottob.com

الزراعة اذاً ألذّ عمل، اذا كان الزارع يزرع أرضه. (١٩٢٢)

السعادة فضيلة

كان الحكماء القدماء يسعون الى السعادة، الى سعادتهم هم، لا الى سعادة الجار.

أمّا حكماء اليوم فيعلّمون أنّ السعي الى السعادة الشخصيّة ليس سعيا نبيلا: بعضهم يردّد أنّ الفضيلة تحتقر السعادة، وهذا كلام سهل، وبعضهم يعلّم أنّ سعادة الجماعة هي مصدر السعادة الحقّ الشخصيّة، وهذا أجوف الآراء دون ريب...

ليست السعادة الشخصيّة الخاصّة منافية للفضيلة، بل هي نفسها فضيلة! (١٩٢٢)

ديوجين

لا سعادة إلاّ لمن يُريد، ويُبدِع...

كلُّ المهن لذّة للآمر، كريهة للمأمور...

السعادة الموهوبة تُضجِر، وأفضل منها اللذّة المكتسبة، وأفضل منهما العمل والكسب...

لا لذّة الاّ في العمل، ولكنّ الكسول لا يعرف هذا، ولا يمكن أن يعرفه.

وإن يسمعْ به لا يصدّق!... (١٩٢٢)

www.alkottob.com

أعمال

الايمان فضيلةٌ أولى، وثانيةٌ الرجاء.

لهذا يجب أن نبدأ، دون أيّ رجاء، ويأتي الرجاء بتحقيق التقدّم...

يُقال إنّ السعادة تهرب منّا هربَ ظلّنا، والحقّ أنّ ما نتخيّله سعادة لنا لا يأتي أبدا... (١٩٢٢)

علينا أن نحبّ العالم

الذي فهم بعض الفهم ما الضروريّات لا يحاسب الكون، لا يسأل لماذا هذا المطر، وهذا الطاعون، وهذا الموت، لأنّه يعلم أنّ ما من جواب عن هذه الاسئلة. الكون هكذا هو. هذا كلُّ ما يمكن قوله. وما هذا بالقول القليل القدْر، فالوجود شيء، وهذا يسحق كلَّ العقول...

علينا أن نحبّ العالم، دون الحكم عليه. علينا الانحناء أمام الوجود. (١٩٠٨)

كلمات

ما أتعس انسانا لم يبقَ له ما يهدمه أو يبنيه!

لو كان عليّ أن أضع بحثا في الأخلاق لجعلت من البشاشة أوّل واجب... الرفق فرح، الحبّ فرح.

اذا ما ركبتُ القطار سمعت دائما مسافرين يردّدون: لن نصل قبل تلك الساعة! كم هو طويل هذا السفر، ومدعاة للضجر!...

www.alkottob.com

ولو نظروا الى الأمر نظرة مخالفة لعدّوا السفر في القطار من أمتع اللذّات...، لنظروا الى ألوان الأرض والسماء، وهرب الأشياء!...

واجب السعادة

ليس من الصعب أن تكون تعيسا، أو غير راضٍ... ولكنّه صعبٌ دائما أن تكون سعيدا، فأنت تقاوم أحداثا كثيرة، وبشرا كثيرين، والهزيمة ممكنة، اذ لا شكّ في وجود أحداث قاهرة، وتعاسات أقوى من الرواقيّ المتدرِّب. ولكن الواجب يقضي، وقد يكون أوضَح واجب، ألاّ تعترف بالهزيمة قبل أن تقاوم بكلّ قواك. ويبدو لي أنّ السعادة مستحيلة على من لا يريدها، فعليك اذاً أن تريد سعادتك، وتعمل على تحقيقها.

وممّا نُقصِّر في إقرارنا به هو أنّ سعادتنا واجب نحوَ الآخرين.

نحن نردّد أنّنا لا نحبّ سوى السعيد، ولكنّنا ننسى أنّ هذه المكافأة عادلة، ومستحقَّة، لأنّ الهواء الذي نتنفّسه حافلٌ بالتعاسة، والضجر، واليأس... وعليه فلا شيء أعمق في الحبّ من القسم بأن نكون سعداء، بل قد اقترح على الدولة أن تكلِّل كلَّ انسان قرَّر أن يكون سعيدا! (١٩٢٣)

أرسطو

ضئيلةٌ لذّةُ الموسيقى إن تكتفِ بسماعها، ولا تقوم بأيّ غناء...

www.alkottob.com

يحضر الناس تمثيليّات، ويضجرون أكثر ممّا يقولون...

ويقول أرسطو هذا الشيء المُدهِش، يقول انّ الموسيقي الحقّ هو الذي يجد لذّة في الموسيقى، والسياسيّ الحقّ هو الذي يجد لذّة في السياسة، فاللذّات علامات طاقات...

علامة التقدّم الحقّ في كلّ عمل هي ما نعرف أن نجد فيه من لذّة، وعليه فالعمل هو الشيء الواحد اللذيذ، والكافي، وأعني العمل الحرّ، ثمرةَ قدرة، ومنبعَ قدرة معاً. واردّد: علينا أن نَعمل، لا ان نتلقّى العمل. (١٩٢٤)

حبّ الموجود

من الأشياء ما ينبغي القبول بها، دون فهمها...

الكون واقع فعلى العقل أن ينحني...

ناسٌ كثير يلومون المطر، والثلج، والبَرَد، والريح، والشمس!...

سعادة ألان

أجل، يسعدنا العمل، العمل الحرّ الصعب.

ومن حقّنا أن نكون سعداء، وأن نُسعِد الناس، من حقّنا ومن واجبنا.

انّما لسنا نوافق:

١- على ما دعا اليه زينون ويجاريه ألان، على حبّ هذا الكون بكلِّ ما فيه، ففي كوننا ما يشقي، وفي وسعنا المقاومة، وتحقيق انتصارات.

www.alkottob.com

٢- على انّ السعادة كظلّنا إن نطاردْها تهربْ منا، وتلاحقنا ان نهرب.

طاردِ السعادة ان تعرف ما يسعدك، والاّ فانت تطارد مجهولا،

أو أنت سعيد ولا تعلم ما يسعدك!

www.alkottob.com

سعادة كامو

تمرّدٌ وتمتّع

www.alkottob.com

كامو

www.alkottob.com

كامو في كلمات

- ابن اسرة فقيرة.
- قتِل أبوه وهو ابن عام.
- تنقّل ما بين فرنسة والجزائر.
- تزوّج فطلّق، ثم تزوّج.
- أُصيب بمرض السلّ وساءت صحّته.
- أنضوى الى الحزب الشيوعيّ، ثمّ استقال منه.
- التحق بالمقاومة ضدّ الاحتلال الألمانيّ.
- عُني بالفلسفة، والمسرح، والصحافة.
- نال جائزة نوبل سنة ١٩٥٧.
- قُتِل ضحيّةَ حادث سيّارة سنة ١٩٦٠.

مؤلّفاته

١- الوجه والقفا (١٩٣٧).
٢- أعراس (١٩٣٨).
٣- الغريب (١٩٤٢).
٤- اسطورة سيزيف (١٩٤٢).
٥- سوء التفاهم (١٩٤٣) (مسرحية).
٦- رسائل الى صديق ألمانيّ (١٩٤٥).
٧- كاليغولا (١٩٤٥) (مسرحيّة).
٨- الطاعون (١٩٤٧).

www.alkottob.com

٩- الحصار (١٩٤٨) (مسرحيّة).

١٠- الأبرار (١٩٤٩) (مسرحيّة).

١١- حاليّات (١٩٤٩-١٩٥٤-١٩٥٨).

١٢- الانسان المتمرّد (١٩٥١).

١٣- الصيف (١٩٥٤).

١٤- السقوط (١٩٥٦).

١٥- النفي والملكوت (١٩٥٧).

أبرز الموضوعات

١- **في العبثيّة** (Absurdité): سيزيف، والغريب، وكاليغولا، وسوء التفاهم.

٢- **في التمرّد** (Révolte): المتمرِّد، والطاعون، والأبرار، والحصار.

مذهبه

أبى كامو الانتساب الى مذهب فلسفيّ أو سياسيّ، وانّ عدّه باحثون فيلسوفا وجوديّا لما بينه وبين الوجوديّين من مواطن شبه.

وأبرز ما في مذهبه:

أ- العبثيّة

حياة الانسان تعاسة، شرّ وشقاء وموت، والانسان عاجز لا يعرف ما هو، وما العالم، معرفةً موضوعيّة، تامّة، واضحة، تمكّنه من التغلّب على تعاسته، وتحقيق سعادته.

www.alkottob.com

واقع الانسان واقعٌ عبثيّ، هوّةٌ بين الواقع ومـا نشتهي، دافعٌ الى الكفر بوجود إلهٍ خالق قادر جواد، وكيف يكون قادرا ويظلم، وجوادا ويبخل؟!

ب- التمرّد

واذا لم يكن إله وآخرة، وكان الشقاء والشرّ والموت، وكان وجود الحياة والانسان عبثا، كان الانتحار هو الخيار، خيرَ خيار.

ولكنّ كامو يأبى الانتحار، يتمرّد على الواقع العبثيّ، يتشبّث بالحياة:

١- لأن الانتحار استسلام للعبثيّة، شرّ على شرّ. وان تكن الحياة لا معنى لها فهي أجدر بأن نحياها ليصبح لها معنى.

٢- لأن الحياة عزيزة على الانسان، وإن أشقى حياة، وأطولَ حياة.

٣- لأنّ وعيَ العبثيّة يثير التمرّد من أجل الحريّة، حريّة المتمرّد، وحريّة كلّ انسان. عارٌ أن تتحرّر وحدك: "أتمردّ فنحن موجودون!"

٤- لأنّ للحياة، على واقعها، سعادتها.

ج- أيُّ سعادة

لا تتوقّعْ سعادة موعودة، أخرويَّة أو دنيويّة، سعادة السماء او سعادة ماركس ونيتشه، فهذه سعادة غائبة أو مجهولة.

٢- لا تسعَ الى سعادة عقليّة غير يقينيّة، فلا يقينيّات الاّ في المحسوسات.

www.alkottob.com

ازهدْ في النظريّات يتفرّغِ الجسد للأفراح الجسديّة. ابحثْ عن السعادة في الجسديّ المحسوس، وما الحبّ سوى عناق جسدين.

٣- اسعَ الى السعادة وان محدودة ينغّصها الألم والشرّ، وتنتهي بالموت. وما الواجب سوى السعي الى السعادة.

٤- اكتفِ بسعادة الحاضر، فالماضي مضى، والآتي مجهول. عشْ مع الزمان، ومتْ معه!

٥- ارضَ بالواقع، اذعنْ للقدَر، كن سيزيفا ينتصر على الصخرة، لا يدعها تستقرّ في الوادي، بل يصعد بها الى الذرى، يصعد ويعاود الصعود، ينتصر ويسعد بنصره!

***

وننقل لك من كتب كامو، من سيزيف، والمتمرّد، والغريب، أبرز ما يعبّر عن العبثيّة، أو التمرّد، أو السعادة:

أ- من سيزيف:

يا نفس، لا تطمحي الى الحياة الخالدة، بل استنفدي مساحة الممكن.

بندار

مقدّمة

تلمُّ الصفحات التالية بموضوع الاحساس العبثيّ، الشائع في هذا العصر، لا بالفلسفة العبثيّة، التي لمّا يتطرّقْ إليها بدقّة أهلُ هذا الزمان.

www.alkottob.com

العبثيّة والانتحار[1]

مشكلة الانتحار هي المشكلة الفلسفيّة الواحدة الجدِّية كلَّ الجدِّ، اعتبار الحياة جديرةً بأن تُعاش أو غير جديرة، جواب عن السؤال الفلسفيّ الأساس...

وإن اسألْ ما المعيار الذي يجعل مسألة أولى بالبحث من غيرها أجبْ: انّه اقترانها بالأفعال!...

انّ غاليله، الذي اهتدى الى حقيقة علميّة خطيرة، جحدها اذ عرّضت حياته للخطر. وحسناً فعل فهذه الحقيقة لا تستحقّ النار.

على أنّي أرى كثيرين يموتون لأنّهم يرون انّ الحياة غير جديرة بأن نحياها، وأرى بالمقابل أناسا يُقتلون دفاعا عن أفكار أو أوهام تقنعهم بأن يحيوا (ما يُقنعنا بأن نحيا هو ما يقنعنا بأن نموت)، ولذا أرى أنّ معنى الحياة ألحّ المسائل بالبحث...

موضوع هذه الدراسة هو بالضبط صلة الانتحار بالعبثيّة، اعتباره حلاّ لها...، اعتبار الموت تنفيذا لقرارها...

غربة الجاهل

ما يسعني ادّعاء معرفته شخصا كان أو شيئا؟
هذا القلب قلبي أشعر به، واسلّم بوجوده.
وهذا العالم ألمسه، وأسلّم أيضا بوجوده.
عند هذا الحدّ تقف معرفتي!...

---

(١) أكثر العناوين من وضع الناقل.

www.alkottob.com

إن أحاول إدراك ما أنا، ما أثِق في وجوده، إن أحاول تحديده أو اختصاره، لم يبقَ منه سوى ماء يجري بين أصابعي...

هذا القلب، قلبي، سيظلّ أبدا مستعصيا على التحديد. لن يسعني ردمُ الهوّة القائمة ما بين ثقتي في وجودي وما أحاول تبيّنه كمضمون لهذه الثقة. سأظلّ أبدا غريباً عنّي...، وعن هذا العالم...، فكلّ شيء أُعِدَّ لولادة هذا السلام المسمَّم، نتيجة اللامبالاة، وسبات القلب، أو الزهد القاتل.

العقل أيضا يثبت لي، على طريقته، أنّ العبثيّة طابع هذا العالم.

سيزيف

قضت الآلهة على سيزيف بدحرجة صخرة، يُدحرجها دون توقّف حتّى يبلغ بها ذروة جبل، وتعود الصخرة فتهبط...، واعتقدت الآلهة، وهي على حقّ في ما اعتقدت، أن لا عقاب أرهب من عمل باطل يائس!...

ونرى ما يقوم به جسد من جهد ليرفع صخرة ضخمة، يدحرجها، يتسلّق بها سفحا، ويعاود التسلّق مرّة بعد مرّة.

نرى الوجه المنقبض، والخدّ الملتصق بالصخرة، والكتف التي تسند جسمًا كساه التراب، والرجْل التي تسنده، والذراعين اللتين تستعيدانه، واليدين المملوءتين ترابا، الواثقتين ثقة انسانيّة.

ويتحقّق الهدف في نهاية هذا الجهد الطويل، المَقيس بفضاء دون سماء، وزمان دون عمق. وحينئذٍ يرى سيزيف الصخرةً تهبط، في مدى هنيهات، الى العالم الأسفل، وعليه أن يعود بها الى الذرى، فينزل عائدا الى السهل.

www.alkottob.com

يعنيني من سيزيف فترة عودته، وقفته تلك.

انّ وجها أعياه التعب بجوار صخور يصبح هو نفسه صخرة! أرى هذا الانسان يهبط عائدا بخطى بطيئة، متساوية، الى عذاب لا نهاية له.

هذه الساعة، التي تشبه التنفّس، والتي تعود عودة ذلك العذاب المحتوم، هي ساعة الوعي. في كلٍّ هنيهة من تلك الهنيهات، التي يغادر فيها الذرى، ويهبط رويدا رويدا الى أوجار الآلهة، أراه قد صار سيّد قدَره، صار أقوى من صخرته.

ان تكنْ هذه الاسطورة مأسويّة فلأنّ بطلها يعيها. وما الذي كان يُشقيه لو كان الأمل بالنجاح يشدّد من عزيمته لدى كلّ خطوة؟

عاملُ اليوم يعمل كلَّ أيّام حياته، يقوم بالمهام نفسها، وقدَره هذا ليس أقلّ عبثيّة.ولكنّ هذا القدَر لا يصبح مأسويّا إلاّ حين يعيه، ويندر وعيه له. أمّا سيزيف، العامل في معمل الآلهة، عاجزا ومتمرّدا معا، فانّه يعرف مدى واقعه التعيس، وبه يفكّر لدى نزوله. بثاقب فكره رأى ما كان يمكن أن يعذّبه ونصره معا. ما من قدَرٍ لا يُقهر بالاحتقار!

ان يكن النزول مؤلما في بعض الأيّام ففي وسعه أيضا أن يتمَّ في الفرح. وهذه الكلمة ليست نافلة...

أترك سيزيف في أسفل الجبل! حملنا يعود دائماً. ولكنّ سيزيف يعلّمنا الأمانة العظمى، التي تجحد الآلهة،وترفع الصخور... هذا الكون، الذي خلا من ربّه، لا يبدو له قاحلا، أو تافها. كلّ

www.alkottob.com

فتات من هذه الصخرة، كلُّ شظيّة معدنيّة من هذا الجبل، الطافح بالليل، تؤلّف وحدَها عالما. النضال نفسه سعيا الى الذرى يكفي لملء قلب الانسان. علينا أن نتصوّر سيزيف سعيدا.

ب- منَ الانسان المتمرّد

التمرّد

أهتف أنّي لا أومن بشيء، وأنّ العبثيّة طابعُ كلّ شيء، ولكن لا يسعني الشكّ في هتافي، وعليّ على الأقلّ، الايمان باحتجاجي. والتمرّد هو الموقف الواضح، الأوّل والواحد، المتيسّر لي أمام اختياري العبثيّ...

الانسان هو المخلوق الواحد، الذي يرفض أن يكون ما هو. والسؤال: هل هذا الرفض يؤدّي بالضرورة الى القضاء على الآخرين، وعلى الذات، هل على كلّ تمرّدٍ أن ينتهي بتبرير القتل الجماعي، أو يمكنه أن يكتشف أساسا لحالة أثيمة معقولة؟

المتمرّد

ما الانسان المتمرّد؟ انّه انسان يقول: لا، ولكنّه يرفض ولا يزهد. انّه انسانٌ يقول أيضا: بلى، ومنذ الحركة الأولى.

انّ العبد، الذي تلقّى أوامر، على مدى حياته، يرى فجأة أنّ امراً جديداً غير مقبول...، يرفض أمرا ظالما لأنّ من حقّه ألاّ يكون مظلوما...

انّ العبد، اذ يعصى أمر سيّده المذلّ، ينبذ وضعه كعبد. حركة التمرّد تتجاوز حالة الرفض... التمرّد انتقال من الواقع الى

www.alkottob.com

الحقوق... العبد ينتصب، اذ يرى أنّ أمرَ سيّده قد أنكر شيئا يخصّه، ولا يخّصه وحده، بل هو شأن كلِّ الناس، بمن فيهم من يهينه ويظلمه...

أنّ أوّل تقدّم يحقّقه روح التمرّد تقدّمٌ بالنسبة الى تفكير صادر عن عبثيّة العالَم، وعقمه السطحيّ.

الاختبار العبثيّ عذاب فرديّ، أمّا حركة التمرّد فوعيٌ جماعيّ، مغامرةٌ جماعيّة... الشرّ، الذي كان بليّة انسان واحد، أصبح طاعونا عامّا... أتمرّد فنحن موجودون!

التمرّد الماورائي

التمرّد الماورائي حركة يقاوم بها انسانٌ وضعه، والخليقة كلّها. وهو تمرّدٌ ما ورائيّ لأنّه يُنكر أهداف الانسان والخليقة.

العبد يحتجّ على حالة ملازمة لواقعه، أمّا المتمرّد الماورائي فيحتجّ على حالته كانسان. يحتج العبد لأنّ فيه ما يرفض المعاملة، التي يلقاها من سيّده، أمّا المتمرّد الماورائيّ فيُعلن أنّ واقع الخلق يحرمه حقّه...

ينتصب المتمرّد الماورائيّ فوق عالَمٍ محطّم ليطالب بوحدته، يواجه بمبدإ العدالة، المُقيمِ فيه، مبدأ الظُلامة العامل في العالم...

يحتجّ المتمرّد الماورائيّ على ما في الواقع من نقص حاصل عن الموت، وتبدّد ناتجٍ من الشرّ، مطالبا بوحدة سعيدة بدلا من عذاب الحياة والموت. ان يكن الحكم بالموت واقعَ كلِّ انسان فالتمرّد

www.alkottob.com

معاصرٌ له. المتمرّد يرفض واقعَ موته، والتسليم بقادرٍ يقضي عليه بالعيش في هذا الواقع، يرفض الاثنين معا.

حجّة المتمرّد

ليس عذاب الطفل ما يثير التمرّد، بل غياب مُبرِّرٍ لهذا العذاب.

انّا قد نرضى عن الألم، والنفي، وعزلة الأديار، اذا ما أقنعنا الطبّ بذلك، أو العقل السليم.

ما ينبغي، في نظر المتمرّد، لعذاب العالم، لهنيهاتِ سعادته، هو مبدأ تبرير.

رهان المتمرّد على السعادة

يخالف التمرّد المنطق، اذا ما آل به الأمر الى الهدم.

مطالبة التمرّد بوحدة الواقع الانسانيّ عزمُ حياة، لا عزم موت. منطقه العميق ليس الهدم، بل الخلق...

منطق المتمرّد العمل من أجل العدالة كي لا يتفاقم ظلمُ الواقع، ومحاولةُ الكلام الواضح كي لا يزداد الكذب العام كثافة، والمراهنةُ، في مقابل عذاب البشر، على السعادة.

الظلم والألم باقيان

يصطدم المتمرّد دون ملل بالشرّ، ولا يبقى له الانطلاق منه الى وثبة جديدة. يستطيع الانسان ان يُخضِع فيه كلَّ ما يجب

www.alkottob.com

إخضاعه، وعليه أن يُصلِح كلَّ ما يمكن إصلاحه. وبعد ذلك سيموت الأولاد دائما ميتة المظلوم، وإن في مجتمع كامل. لا يسع المرءَ، وإن يُنفق أقصى جهد، سوى التصميم على تخفيض عذاب العالم تخفيضا حسابيّا. الظلم والألم باقيان، ومهما ضاقت حدودهما سيظلاّن حجرَ عثرة...

لن يموت الفنّ والتمرّد الاّ حين يموت آخِر انسان!

دور التمرّد

في وجه الشرّ، ووجه الموت، يعلو صراخ الانسان من أعمق أعماقه مطالبا بالعدالة. جواب المسيحيّة التاريخيّة عن هذا الصراخ في وجه الشرّ البشرى بالملكوت، ثمّ الحياةُ الأبديّة، التي تفترض الإيمان. ولكن الألم ينهك الأمل والإيمان، ويبقى وحدَه دون مبرِّر. الجماعات العاملة، التعبى من الألم والموت، ملحِدة، وموقعنا بجانبها... المسيحيّة التاريخيّة تؤجّل الى ما بعد التاريخ الشفاءَ من الشرّ والقتل... وتتوهّم الماديّة المعاصرة أنها تجيب عن كلِّ الاسئلة مستقبلا. وفي كلا الحالين يجب الانتظار، ويظلّ البريء يموت. انّ مجموع الشرّ في العالم لم ينقص منذ عشرين قرنا...، الظلمُ باقٍ، ملتصق بكلِّ ألم...

وهذا يُفهمنا أنّ التمرّد لا يسعه الاستغناء عن حبّ غريب. انّ الذين لا يجدون الراحة في اللّه، أو في التاريخ، يُضطّرون الى ان يحيوا من أجل العاجزين عن الحياة عجزَهم هم، من أجل الأذلاّء!...

www.alkottob.com

التمرّد يبذل دون تسويف ما لديه من قوّة الحبّ، ويأبى الظلم. مجده إهمال الحسابات، وتوزيعُ كلِّ ما لديه على الحياة الحاضرة، وعلى إخوته الأحياء...، وهكذا يُثبت التمرّد أنّه حركة الحياة، وأنّه لا يمكن إنكاره دون التنازل عن الحياة...، فهو اذاً حبّ وخصب، أو لا شيء. الثورة الفارغة من الشرف ثورةُ الحسابات، التي تؤثر الإنسان الخياليّ على الانسان الحيّ...، تُحلّ الحقد محلَّ الحبّ...، ويُصبح تمرّدٌ جديد تمرّداً مقدّسا باسم الاعتدال والحياة. لقد بلغنا هذا الحدّ، وبعد هذا الظلام لا بدّ من نور، من نورٍ نتوقّعه، ونناضل من أجل ظهوره. انّنا نُعِدّ نهضة من بين الانقاض، ومن وراء العدميّة، وقلَّ من يعلم.

المتمرّد واوربّة

يُهمل الأوربيّ الحاضرَ من أجل المستقبل، طريدةَ الموجودات من أجل دخان القوّة، بؤس الضواحي من أجل مدينة متألّقة، العدالة اليوميّة من أجل أرض موعودة باطلة، ييأس من حريّة الأشخاص، ويحلم بحريّة النوع العجيبة، يأبى موت الفرد ويدعو خلودا احتضارا جماعيّا مُدْهِشا. ما عاد الأوربيّ يؤمن بما هو قائم، بالعالم وبالانسان الحيّ. سرّ أوربّة انّها ما عادت تحبّ الحياة...، ولهذا تريد محوَ الفرح من لوحة العالم، وتأجيله الى موعد آت...

في ظهيرة الفكر يأبى المتمرّد أن يكون إلها، ويشارك في كلّ نضال وقدَر... العالَم حبُّه الأوّل والأخير... العدالة حيّة، ولذا يشعر بفرح غريب يسعفه على الحياة والموت...، وبه، عبرَ معارك طويلة، يجدّد روح هذا العصر، ويجدّد أوربّةً لا تستبعد شيئا!

www.alkottob.com

زواج

أتت مريم مساءً تبحث عنّي، وسألتني هل أريد أن أتزوّجها. أجبتها أن لا فرق عندي، ويمكن أن نتزوّج إن كانت تشاء.

أرادت أن تعرف إن كنت أحبّها فاجبتها... أنّ هذا لا يهمّني، ولكن ما لا ريب فيه أني لا أُحبّها.

قالت: و لِمَ تتزوّجني اذاً؟ أفهمتُها أن لا أهميّة لذلك، وأنّ زواجنا ممكن إن هي أرادت. وهي بعدُ التي عرضت، واكتفيت بأن أوافق.

أشارت الى انّ الزواج أمرٌ خطير فأجبت بالنفي.

صمتت هنيهة، ثمّ نظرت إليّ، وتكلّمت، أرادت ان تعرف هل كنت وافقت على العرض نفسه لو عرضتْه امرأة أخرى، فقلت: طبعا!...

ظلّت هنيهةً صامتة، ثمّ همست، قالت لي انّي غريب الطبع، وانّها لذلك دون ريب تُحبّني...، ثم أخذت بذراعي، وابتسمت، وأعلنت أنّها تريد أن تتزوّجني. قلتُ لها: سنتزوّج حين تشائين.

بعد الحكم بالاعدام[1]

سأموتُ اذاً، أموت قبل كثيرين غيري.

---

(١) ارتكب كامو جريمة قتل مناصرةً لصديق له فحُكِمَ عليه بالإعدام.

www.alkottob.com

هذا واضحٌ كلَّ الوضوح، وكلّ الناس يعلمون أن هذه الحياة غير جديرة بأن نحياها.

في الحقيقة ما كنت أجهل أن لا فرق يُذكر بين الموت في سنّ الثلاثين او الستّين، ما دام آخرون، رجال ونساء سيحيَون، في كلا الحالين، وعلى مدى آلاف السنين. لا شيء أوضحُ من هذا فأنا الذي سأموت، في كلِّ الأحوال، أموت الآن، أو بعد عشرين سنة...

وما دمتُ سأموت فليس المهمّ كيف أموت، ومتى!

كامو وكاهن السجن

دخل عليّ الكاهن، المعنيّ بالسجناء، فاضطربتُ اذ رأيته.

وانتبه الى اضطرابي فقال لي: لا تخفْ!... ثمّ سألني لماذا أرفض زياراته لي: فأجبتُه: انّي لا أومن باللّه.

وأراد أن يعرف إن كنتُ على يقين من ذلك فأجبتُه انّي لا اسأل نفسي هذا السؤال، لأنّه يبدو لي غير ذي بال. استلقى عندئذ الى الحائط، وكمن لا يحدّثني أشار الى أنّنا نبدو أحيانا على يقين دون أن نكونَه في الحقيقة. ولم أقلْ شيئا فنظر اليّ وقال: ما ترى؟ أجبتُ انّ هذا ممكن... ولكنّ حديثه لا يهمّني.

أشاح بنظره عنّي...، ثمّ سألني إن كنت أتكلّم هكذا لما أنا عليه من يأس، فأفهمته أنّي غير يائس...

نظر اليّ دون أن يتكلّم، وعيناه مغرورقتان بالدموع، ثمّ انصرف وتوارى.

www.alkottob.com

عـاودني الهـدوء اذِ انصـرف...، وأمـام هـذا الليـل المليء بإشارات النجوم، شعرت لأوّل مرّة بلا مبالاة العالم، الطافحة بالحنان...، شعرت أنّي عشت سعيدا، وأنّي ما زلت سعيدا.

ولكي يتمّ كلُّ شيء، وحتّى يخفّ شعوري بوحدتي، لم يبقَ لي ما اشتهيه سوى حضور مشاهدين كثيرين يومَ إعدامي، واستقبالي بصرخات البغض.

***

سعادة كامو

لا نوافق على أنّ العبثيّة واقع العالم، ودافع الى الإلحاد.

ولكنّنا نقدّر لدى كامو:

١- إحجامه عن الانتحار، وإن ملحدا في عالمٍ يتّسم بالعبثيّة.

٢- تمرّده على ما ظنّه عبثيّة، حبَّه للحياة، ونضاله من أجل الحريّة، حريّته وحريّة كلِّ الناس.

٣- بل شعوره بالسعادة، وإن محكوما عليه بالإعدام، شعورَ سيزيف المحكوم عليه بمعاودة الهبوط الى الوادي، ودحرجة الصخرة الى ذروة الجبل، وذلك ما دامتِ الصخرة ودام!

www.alkottob.com

www.alkottob.com

عرضنا آراء أعلامٍ باحثين هم أبرز من تصدّوا لموضوع السعادة والشقاء، أو من أبرزهم.

وأوضحُ **جامعٍ** لهؤلاء الأعلام **تباينُهم**:

انّهم يتباينون نسباً قاريّا،

فبعضهم أسيويّ شرقيّ،

وبعضهم أوربيّ غربيّ،[1]

وآسيّة وأوربّة موطنا الثقافة المرموقان،

كانتاهما، وما تزالان.

ويتباينون آراء:

فهذا مؤمن بوجود اللّه، وذاك ملحد.

هذا راضٍ عن هذا العالم، عن حياته والحياة،

وذاك ناقم شاكٌ يودّ لو لم يُوجَد.

هذا راغب في المرأة، أو مستعيض بها عن فراغ،

وذاك ناقمٌ، أو زاهد.

هذا داعٍ الى التحرّر من الرغبات، من كلّها أو بعضها،

وذاك راضٍ عنها، ساعٍ إليها...

---

(١) **الشرقيّون**: الهندوسيّ، وبوذا، وزينون الصوريّ، والمعرّي، والخيّام، وابن سينا.
والغربيّون: ارسطو، وابيقورس، وليبنتز، وشوبنهور، ونيتشه، وألان، وكامو.

www.alkottob.com

انّ في هذا العالم، في كلّ ما تصدّى له الباحثون، ما يُسعد، وما يُشقي، فهذا استوقفه بعض ما يُسعِد، وأوضحه، وذاك بعض ما يشقي، وأفدحه، وكلاهما في ما ادّعاه صادق.

يرى بوذا السعادة، مثلا، في النرڤانة، ويراها أرسطو في التأمّل الفلسفيّ والفضيلة، وابيقورس في اللذّات، والخيّام في الخمرة والمرأة، وابن سينا وليبنتز في ما صنعه اللّه الكامل، ونيتشه في التفوّق والسيادة، وألان في العمل الحرّ، وكامو في التمرّد وعناق الأجساد... وكلّهم اعتقد صحّة ما قال.

ويرى بوذا نفسُه أنّ المرض والهرم والموت أسبابُ شقاء، ويراها المعرّي وشوبنهور في ما نسعى اليه من رغبات، أو قد نسعى، ويشكو كامو ممّا يلقاه البشر في الحياة من شقاء وشرّ... وكلّهم صادق في ما اعتقد.

تباينَ من عرضنا آراءهم في السعادة والشقاء، تباينوا وكانوا صادقين في ما اعتقدوا، وسبب هذا الواقع **نسبيّة** السعادة والشقاء، أي واقع الباحث نفسه.

ونُقدم، نحاول نظرة جامعة ناقدة، لا الى كلٍّ ما سبق ذكره، بل الى أخطره، الى أربع، وهي:

١- دور **اللّه** في سعادة دنيانا وشقائها.

٢- دور **المرأة** فيهما.

٣- دور **المال**.

٤- دور **رغباتنا**.

www.alkottob.com

رأينا، لدى من ورد ذكرهم في بحثنا، مواقف متباينة أو متناقضة، من دور اللّه في حياتنا، في سعادتنا وشقائنا، ويمكن ردّها الى اثنين:

أوّلا: لا دور للّه:

لا يرى الهندوسيّ، في الحياة الدنيا، سوى الشقاء، فيسعى الى سعادة الآخرة، أو ما عدّه سعادة، الى الخلاص من التناسخ، والعودة الى اللّه، والفناء فيه.

ويوافق بوذا الهندوسيَّ على نظرته تلك الى الشقاء، ولكنّه يؤمن بقدرة الانسان على تجاوز الواقع، على التحرّر من كلِّ شواغل الدنيا، وبلوغه حالة الاطمئنان التامّ، حالة النرڤانة، دون أيّ ذكرٍ للّه أو دور.

وإله أرسطو لا يعرف هذا العالم، فكيف يُعنى به؟

وآلهة ابيقورس قادرة على إسعادنا، إذا أرادت، وإن تُحجِم فلأنّها لا تبالي بنا، مشغولةٌ عنّا بسعادتها.

وإله نيتشه مات، بل لم يُوجد الاّ في أوهامنا.

وكامو يرى ما يعاني الانسان من شقاء وشرّ، وينتهي إليه من مآل، يرى وجودنا واقعا عبثيّا، فيحيل وجود إله أرادنا هكذا، وخلقنا.

www.alkottob.com

ثانيا: للّه دور في سعادتنا وشقائنا:

قدّر زينون الصوريّ حكمة اللّه، وما أشاعه في هذا العالم من نظام مُحكَم، فدعانا الى مجاراة ما يجري فيه، فننعم من السعادة بما نصبو إليه.

واستند ابن سينا وليبنتز الى كمال اللّه الخالق، فاعتقدا أنّ هذا العالم أحسن عالم ممكن، في ذاته، وبالنسبة الى سعادتنا.

وعجز المعرّي عن التوفيق بين وجود إلهٍ قادر حكيم جواد وبين ما في هذا العالم من شقاء وشرور، دون أن يؤدّي به ذلك الى ما أدّى بكامو، الى الكفر بوجود اللّه، أو الاستهانة بحسابه.

وآمن الخيّام بإلهٍ رحيم يعفو عن خطايانا، إن تخلدْ نفوس، ونُسأل عمّا نفعل، فما أحجم عن إرواء شهوة، أو التمتّع بلذّة، شأنه شأن الملحد نفسه!

ونسأل

نسأل مع من سألوا: هل للّه حقّا دور في سعادتنا، هل هو يريدنا سعداء، ونلقى ما نلقاه، في هذا العالم، من شقاء، ونقدِم عليه من شرّ، وننتهي إليه من مآل.

ونحاول جوابا صوابا فنقول:

١- هذا العالم ناقص حقّا

قيل، قال ابن سينا وليبنتز، انّ هذا العالم أحسن عالم ممكن.

وإن نسلّم جدلا أنّه كذلك فلا نسلّم - أو يسلّم فيلسوفانا - أنّ هذا العالم تامّ... لما نلفي فيه من مظاهر النقص والحدود: حدودنا، ونواقص الطبيعة.

www.alkottob.com

٢- نقص العالم عجزٌ فيه، لا في اللّه

يريد اللّه الخير، ويفعله، لأنّه صلاح وحبّ.

فإن لم يفعل الخير كلّه فليس ذلك عجزا منه، بل في طاقة المخلوق: لا يسع أَمهرَ نحّات أن يصنع من الماء منحوتة، ولا أمهرَ رسّام أن يرسم على الهواء لوحة، وما ذاك لعجز النحّات والرسّام، بل لنقص في طاقة الماء والهواء.

٣- وهذا العالم يكون بالتالي ناقصاً أو لا يكون

اللّه تامّ، وتفرّده بالتمام صفة، ملازمة لتمامه، فإن يخلق عالما تامّا صار هو وهذا العالم كلاهما ناقصين، لأنّهما فقدا التفرّد بالتمام!

وإن نتجاوزْ جدلا استحالة وجود تامّين، إن نسلّم بقدرة اللّه على خلقِ تامّ، على خلقِ إله أو إلاهة، فهذا المخلوق التامّ ليس هذا العالم.

٤- ووجود عالمٍ ناقص خير من لا وجوده

الوجود خير من العدم فوجود العالم، وإن ناقصا، خيرٌ من لا وجوده.

ووجود حيٍّ يمرض، ويهرم، ويتعذّب، ويموت[1]، خيرٌ من لا وجوده.

---

(١) بلاهةٌ، إن أمكنت نجاة الانسان من الموت، بقاؤه على أرضنا آلاف السنين، وملايين السنين... ثمَّ تنتهي كلّ حياة، وينتهي الانسان، يفوته خلود الدارين!

www.alkottob.com

ووجودُ عاقلٍ حرّ، هدفٍ للضلال والشرّ، خير من لا وجوده.

فإن يكن الوجود خيرا من العدم، والحياة خيرا من الجماد، والعقل أسمى من الغريزة، والحرّية أغلى من الجبر، فوجود هذا العالم بانسانه الحيّ، العاقل، الحر، خير من لا وجوده.

ثمّ انّ إحجام اللّه عن خلق هذا العالم الناقص ضياعُ كلِّ ما فيه من خير - على ما يقول ابن سينا - وهذا شرّ يربو على كلّ ما فيه من شرّ، فخلقه اذاً خير من عدمه، خيرُ الشرّين.

ونسأل الناقمين على هذه الحياة سؤال هملت: أتؤثرون الوجود على العدم أم لا، أن تكونوا أو لا تكونوا؟

إن تؤثروا العدم فانتحروا! رأى كامو أنّ الانتحار هو الحلّ فلمَ أحجم؟!

حبّ الحياة أقوى من متاهات العقول، أقوى وأحكم، والحيّ - عاقلا أو غير عاقل - يجاري طبيعته، فلنطمئنّ الى حبّنا الحياة!

٥- والانسان يتطوّر

التطوّر ناموس الكون، وناموس الأرض والانسان نفسه.

انّ نوعنا الراهن خلفَ انواعا سابقة، وكلّ نوع كان أرقى من سابقه.

ويرى العلماء أنّ تطوّر الانسان النوعيّ قد انتهى فلن يظهر على أرضنا نوع جديد، ولكنّ تطوّره العلمي والخُلقي ما زال مستمرّا.

www.alkottob.com

انّ الحرص على السلام يتزايد، والعدالة في العالم تتقدّم. وسيظلّ الانسان يتطوّر، يتقدّم في حرصه على السلام والعدالة، وفي كلّ ما يزيد من سعادة الانسان، ويخفّف من أسباب شقائه.

أنت لا تفهم ما الغاية من إعمال إزميل في صخرة قبل أن يُنجِز النحّات عمله، وترى المنحوتة. وسيفهم الانسان ما على أرضنا في يومنا من أسباب الشكوى، اذا ما تبيّن فيها مرحلة على طريق انسان أرقى، وحياة أسعد.

التطوّر والتقدّم واقع الكون، سرُّ ما فيه من كمال وجمال، وكمالِ الانسان وجماله.

٦- وإن تسألْ

إن تسألْ لماذا لم يخلق اللّه الانسان أتمّ، أذكى عقلا، وأقوى إرادة، وأقوم خلُقا، وأسعد حالا... أُجِبْ:

١- أتعي مدى حكمة اللّه في خلقه لتحكم، وتحاكم؟ أيجادل امّيٌّ، مثلا، في نسبيّة انشتين الرياضيِّة؟ والتفاوت أكبر أكبر!

٢- أتعي مدى هذا الكون زمانا ومكانا، لترى موقع انساننا فيه، وتحكم على مستوى هذا الموقع، وصلاحه؟

٣- أتعي آفاق التطوّر، تطوّر الكون والانسان، لتعرف ما سيكون الانسان الآتي، فتحكم عليه، وعلى خالقه؟

وإن يخلقِ اللّهُ بعدُ انسانا أتمَّ من انساننا، فهذا الانسان الجديد ناقص حتما، ويمكن خلق انسانٍ أتمّ، وهكذا الى ما لا نهاية له.

www.alkottob.com

فدعْك، أخي، من الممكنات، ولنحكمْ على هذا العالم القائم، بكلِّ ما فيه، وقد قيل، وقلنا، ما يبرّر وجوده، وإيجاده.

٧- وتسقط الاعتراضات على خلق اللّه هذا العالم

لا يتنافى خلقُ اللّه هذا العالم وقدرته، أو حكمته، أو جوده.

ليس نقص العالم دليل عجز، أو عبثيّة، دافعا الى القيء، أو الإلحاد، على ما يرى سارتر وكامو، وأمثالهما.

في العالم السعادة والشقاء، ويتطوّران تطوّرا عكسيّا، السعادة تزيد، والشقاء ينقص. وان سيظلّ في الحياة ما يشقي، وسيظلّ، فظلال اللوحة لا تضير جمالها، بل تسهم في قدْرها، وتألّقها،

والضدّ يُظهِر حسنَه الضدّ!

www.alkottob.com

أهمّ من تصدّوا لدور المرأة هذا ممّن ورد ذكرهم في بحثنا ثلاثة: المعرّي، والخيّام، ونيتشه.

فالمعرّي متشائم يقسو على المرأة، يرى فيها أداة فساد في المجتمع، وشقاء في البيت، فيودّ لو لم تكن:

بدءُ السعادة ان لم تُخلَقِ امرأةٌ!

ويخالفه **الخيّام**، يرى في المرأة متعة رجل، وجليسة انسٍ وكأس، ويأبى الحياة دونها:

لا عشتُ إلاّ بالغواني مُغرما!

ويطلع علينا **نيتشه** بحكمٍ هو عنوان هذا الكتاب: **السعادة امرأة.**

ويحتمل هذا العنوان معنيين:

الأوّل ما عناه نيتشه في هذا النصّ:

"الليل ظلَّ صافيا، ساكنا، والسعادة نفسها أتت تطوف، وتدنو من زرادشت[1] .

ولدى الصباح أخذ زرادشت يضحك، ويقول ساخرا: السعادة تلاحقني، لأنّي لا ألاحق النساء، وهل السعادة الاّ امرأة؟!"[2] .

---

(١) زرادشت: هو نيتشه نفسه.

(٢) كذا تكلّم زرادشت: السعادة المفروضة.

www.alkottob.com

ويعني نيتشه ما يعنيه كلام مأثور: المرأة كظلّك طاردْها تهربْ منك، واهربْ منها تطاردْك!

والهرب ليس للنجاة من الشِباك، أو ليس دائما كذلك، بل لإذكاء الرغبة في الطريدة: انّه لون من ألوان الدلال ظاهره بعدٌ، وباطنه توقٌ الى وصال.

أمّا المعنى **الثاني**، الذي يحتمله العنوان (السعادة امرأة) فهو أنّ الساعي الى السعادة يجد سعادته، كلَّ سعادته، في المرأة. وما توخّى نيتشه هذا المعنى.

ما عناه نيتشه بقوله (السعادة امرأة) لا يعبّر عن دور المرأة في السعادة، بل هو تشبيه السعادة بها، وما يمكن أن تعنيه العبارة بالنسبة الى دور المرأة في السعادة ما توخّاه نيتشه.

على أنّ لنيتشه حكما آخر على دور المرأة في السعادة، اذ يشبّهها بالحياة، وذلك في كتابه (العلم الجذلان) حيث يقول:

"العالم مُفعَم بالأشياء الجميلة، ولكنّه ضنين كلَّ الضنّ بالهنيهات الجميلة، بالبوح بما في تلك الأشياء. ولعلّ ذلك أفتن ما في الحياة:

انّها تتقنّع بقناعٍ مطرَّزٍ بالذهب،

واعدٍ مانع،

عفٌ ساخر،

رؤوفٍ فاتن،

حافلٍ بإمكانات جميلة.

أجل، انّها الحياة، **فالحياة امرأة!**"

www.alkottob.com

الحياة سعادة وشقاء، ومثلها المرأة، تعاقبُ أضداد:

تُقبِل وتُدبِر،

تدنو وتنأى،

تحنو وتقسو،

تصِل وتجفو،

تحِبّ وتبغِض،

تفي وتخون،

تُعلي وتحطّ،

تُضحِك وتُبكي،

تَعبُد، وتُعبَد.

انّها الهناء والشقاء، ابنة حوّاء، حلوة ومرّة،

"وأحلى امرأةٍ مُرَّة!" (نيتشه: كذا تكلّم زرادشت: الفتاة والعجوز).

الرأي في ما قيل

يقسو **المعرّي** على المرأة، لا يرى فيها ما يُسعِد، بل ما يُشقي ويُفسِد، يقسو ويجور.

ولا يرى **الخيّام** في المرأة سوى لذّة الحسّ والانس، ومتعة الأجساد، لا يرقى الى مناهل النُّهى والشعور والفنون، ويصحّ فيه ما تقوله الشاعرة الكويتيّة سعاد الصبّاح في قصيدتها (كنْ صديقي)، وهذه بعض أبياتها:

www.alkottob.com

كنْ صديقي...،
انّ كلَّ امرأةٍ تحتاج أحيانا الى كفٍّ صديقْ...،
وكلامٍ طيّبٍ تسمعه،
وإلى خيمةِ دفءٍ صُنِعت من كلماتْ،
لا الى عاصفةٍ من قبُلات...
كنْ صديقي،
إنّني أحتاجُ أحيانا لأن أمشي على العُشبِ معكْ،
وأنا كامرأةٍ يُسعِدني أن أسمَعكْ،
فلماذا، أيُّها الشرقيُّ، تهتمُّ بشكلي،
ولماذا تبصِرُ الكُحلَ بعينيّ،
ولا تبصِر عقلي؟...
لماذا لا ترى في معصمي إلاّ السِوارْ،
ولماذا فيك شيءٌ من بقايا شهريارْ؟...
إنّ كلَّ امرأة في الأرض تحتاج الى صوتٍ ذكيٍّ،
وعميق...،
فلماذا تُهمِل البعدَ الثقافيَّ،
وتُعنى بتفاصيل الثيابْ؟!...
كنْ صديقي،
فأنا محتاجةٌ جدّا لميناءِ سلامْ
وأنا مُتعبةٌ من قِصصِ العِشقِ، وأخبار الغرامْ،

www.alkottob.com

وأنا مُتعبَةٌ من ذلك العصر الذي
يعتبر المرأةَ تمثالَ رُخامْ،
فتكلّمْ، حين تلقاني،
لماذا الرجلُ الشرقيُّ ينسى،
حين يلقى امرأةً، نصفَ الكلام؟!

ويقتصر **نيتشه**، في نظرته الى المرأة، على ضدّين، على فتنةٍ واعدة، وعفّة مانعة، يشبّهها بالحياة، والحياة عطاء وحرمان، هناء وعناء.

المرأة نساء

والحقّ أنّ المرأة تجوز ما قيل فيها، ما قال المعرّي والخيّام ونيتشه: انّ المرأة نساء.

انّها العاهرة الماهرة، تثير الغرائز، تعبث بالعفاف والوفاء، تزرع الفساد، تهدم الاسرة وتشرّد الأولاد. وما لهذا وجِدت، او هذا هو الإسعاد.

وانّها الحبيبة، المقبلة المدبرة، على ما يقول نيتشه، وهمّها الزواج، اكتمالُها بالرجل، واكتمالُهما بالأسرة، فأقبلْ مثلها وأدبرْ... وتزوّجا!

وانّها الصديقة تؤنس، وتعين، على أن تُسعِد ولا تفسِد.

وانّها الجمال، الذي يخفّف من أذى القبح، ويحبّب بالحياة، فاسمعها مغنّية، وتأمّلها راقصة، واذهبْ اليها ممثّلة، وكفرٌ بنعمةِ اللّه ان تحجب وجهها بحجاب، وما اللّه الذي أمر!

www.alkottob.com

وانّها الانسان، الذي تطوّر وتحرّر، وما زال يتطـوّر ويتحـرّر، ينافس ويصارع ويُقلِق، يعلّم ويسوس، يحثّ الرجل على مزيد مـن الجهد، ومن النجاح والرقيّ والتفوّق... يرقى به ويُسعِده.

وسعادة المرأة؟

ان تكنِ المرأة، كما أريدَ لها أن تكـون، إن يجد فيهـا الرجـل أحد أسباب سعادته، فما سعادة المرأة؟

تكلّم الرجل عليهـا كـلام التـوراة، حسـبها خُلِقـت لسـلواه، لأنسه وهنائه، حسبها وسيلة، وهو الغاية.

هـذه النظـرة نتيجـة واقـع تـاريخيّ تفـرّد فيـه الرجـل بـالتعلّم، واستثمار الحيـوان والتربـة، وقضـي علـى المـرأة بـالجهل، والفقـر، وأشغال المنزل.

ولكنّ التطوّر خطا خطاه، فتعلّمت المرأة وملكـت، وتنـافس الرجل، تبحث عن السعادة بحثه عنها، ففيمَ سعادتها؟

أنقول انّ سعادتها في أن تسعِد الرجل، وتظلّ وسيلة والرجـل الغاية، أم نقول - والقول رأي - انّها تسعِد الرجـل، وتسـعَد بـه، فهما في سعادتهما المتبادلة صنوان سيّان؟

أحد أسباب السعادة

سعادة الرجل بالمرأة ألوان، ومثلها سعادة المرأة بالرجل.

وهذه السعادة ملازمة لكلّ رجل وامرأة - وإن يحاول الزهـد فيها رجال ونساء - وقلْ، إن شئت، انّها ألحّ السعادات وأعنف.

www.alkottob.com

ولكنّ هذه السعادة لا تختصر السعادة، أو تحتكر، بل هي أحد أسبابها.

أسباب السعادة كثيرة، متفاوتة عمقا وسموّا، وتتباين طاقات البشر وحظوظهم، تتباين وتتفاوت، فتتباين أسباب سعادتهم وتتفاوت، سعادة كلِّ رجل وامرأة.

لكلّ انسان سعادته الخاصة وأسبابها، بل سعاداته، أمّا سعادة الرجل والمرأة المتبادلة فسعادة شاملة، سعادة كلِّ الرجال والنساء.

وعلى الانسان أن يشكر ربَّه شكرا جزيلا، لأنّه خلقه رجلا وامرأة، خلقه هكذا ليدوم، وتدوم إحدى سعاداته، وألصقها به.

سعادة وشقاء

لا ريب في سعادة الرجل بالمرأة، والمرأةِ بالرجل: سعادة الحبّ، ورفقة الزوجين، وحنان الوالدين.

ولكنّها سعادة لا تخلو من الشقاء، من عذاب الحبّ - وكم شكا منه الشعراء! - ومن مصاعب الحياة الزوجيّة، وتربية الأولاد.

الشقاء تربُ كلِّ سعادة!

www.alkottob.com

ج- دور المال في سعادتنا وشقائنا

تصدّى فريق ممّن ورد ذكرهم في بحثنا لمشكلة المال، مشكلة الفقر والغنى، ويمكن إيجاز آرائهم في موقفين:

الأوّل موقف **أرسطو**، الذي قدّم العقل، ميزةَ الانسان، فقدّم الحكمة والفضيلة، وعدَّهما سبيل السعادة.

ولكنّه لم يهمل دور المال، فرأى في الغنى تابعا ملازما للسعادة، مكمِّلا لها.

والثاني موقف **داعين الى الزهد** في المال والغنى، وتعدّدت الدوافع:

- **فالهندوسيّ والبوذيّ** يريان في طلب المال شاغلا عن طلب السعادة الحقّ، سعادة الاستغراق في اللّه، ثمّ الفناء فيه، أو سعادة النرڤانة، فيدعوان الى الزهد في الغنى، ويكتفي الراهب بصدقات الناس موردَ عيش.

- **وابيقورس** يكتفي بالضروريّ لعيشه، بما يقيه الجوع والموت. الغنى الفاحش فقر مدقع، والصديق خير ثراء.

- **وزينون** الرواقيّ يرضى عن الفقر رضاه عن كلِّ ما يجري في الطبيعة، عن كلّ ما لا بدّ منه. خوف الفقر تعاسة، "وإن تشتهِ، أو تكره ما هو ملكُ سواك، تعشْ عبدا!" (ابّقتاتوس).

- **والمعرّي** قانع بثلاثين دينارا في العام، زاهد في رغد العيش، في اللحوم والخمور، لما يكلّف ذلك من عناء التحصيل، ويجرّ اليه من حرام:

www.alkottob.com

قوتي غنايَ، وطمري ساتري، وتقى
مولاي كنزي، ووردُ الموت موعودي!

الواقع

والواقع أنّ المال، بمفهومه الواسع، حاجة انسانيّة شاملة، حاجة بقاء، وتقدّم، وهناء، نحصّله أو نُعطاه، فلا يدّعينّ أحد الاستغناء عنه.

والمشكلة اذاً ليست في أن يكون لنا مال أو لا يكون، بل في مقدار حظّنا منه، ودوره في سعادتنا. والناس بالنسبة الى ذلك فئات:

- فئة **فقيرة**، عاجزة عن القيام بحاجات الجسد، وورود مناهل العلم.

هذه الفئة مغبونة، حاسدة، حاقدة، تعيسة، ومن حقّها ان تُعنى الدولة بها. وإن تُقصِّر الدولة، أو تُهمِل، يتراكمِ الفقر، يتراكم ويُتوارث... ومن يقي الحاكم ثورة البائس اليائس؟!

- وطبقة **وسطى**، لا فقيرة ولا غنيّة، حاصلة على ما تحتاج اليه من مقوّمات العيش الكريم، وهناء الانسان.

ولكنّ هذه الفئة لا تعتبر بمن هم دونها فتشكر ربّها، بل تنظر الى من هم أغنى، فتشعر بالغبن والحسد، والبغض، بما يعكّر صفو عيشها.

ونجاتها في أن تطمح، تنافس وتجدّ، تربح أو لا تربح... ثمّ تقنع راضية بواقعها. من البلاهة طموح كلِّ انسان الى ان يصير أغنى انسان!

www.alkottob.com

– وطبقة **غنيّة**، متفاوتة الغنى، متحاسدة. ويمكن اختزالها بنوعين:

الأوّل غنيّ بماله وبشخصه، **بما يملك وبما هو**، حصّل مالا، أو ورثه، وحصّل ما قدر عليه من حقّ وخير وجمال... حصّل، ويُبدع، ويوزّع، فيُقدِّر نفسه، ويقدّره الناس، يقدّرون، ويحبّون، ويُسعِدون.

والنوع الثاني غنيّ بماله، مستغنٍ به عن الغنى الانسانيّ، مستغنٍ أو عاجز، سعيد بما لديه من ملبس، ومسكن، ومأكل، ومن سيّارات، وطيّارات، ويخوت، وحفلات، ورحلات... أو بما يتيسّر له من كلّ ذاك.

هذا النوع من الأغنياء سطحيّ، عائش على أشياء، فلا يلبث أن يشعر بفراغ، فراغ ما يملك، وفراغه، وفراغ من حوله. يشكو هؤلاء الأغنياء من كذب الأصدقاء، أو من يدعونهم أصدقاء. وهم على حقّ: المال لا يصادق المال، وهم غير جديرين بالصداقة، فأنّى لهم صديق صادق؟

وأفضل ما يلجأ اليه هذا النوع من الأغنياء بالمال، الفقراء بالصفات الشخصيّة، توظيف مالهم في مشروع خيريّ ينعكس عليهم تقديرا صادقا، وقد ينعكس صداقات.

لا بدّ من المال لحياة الانسان، بل للإسهام في سعادته – على ما يقول أرسطو – انّما علينا ألاّ نكتفي به، ألاّ نحيا في ما ليس الحياة، ونبحث عن السعادة في ما ليس السعادة،

فما بالمال وحده يحيا الانسان، ويسعد!

www.alkottob.com

للسعادة بالرغبة، برغباتنا، صلةُ معلولٍ بعلّة.

وقد تصدّى لهذه الصلة من ورد ذكرهم في ما تقدّم من هذا البحث، ويمكن اختصار آرائهم في موقفين:

الأوّل: الرغبة عن الرغبات لأنّها مصدر بلاء وشقاء، وهذا موقف تشاؤميّ، موقف بوذا، والمعرّي، وشوبنهور.

فبوذا يحجم عن كل رغبة، يساوي بين الأضداد، بين المرض والصحّة، والهجر والوصل، والهرم والشباب، والموت والحياة...، ليبلغ حالة الاطمئنان التامّ، حالة النرڤانة.

والمعرّي يزهد في ما يرغب فيه الناس، يزهد في المال، والمجد، والزواج، والصداقة، والحياة نفسها... لما يكلّف ذلك من عناء وفشل، ويؤدّي اليه من فساد.

أمّا شوبنهوّر فيرى أنّ كلّ رغبة، ما دامت رغبة، تؤلم. وان هي أُشبِعت، وأسعدت، فلا تلبث أن تهمد، وتُضجِر.

والموقف الثاني: موقف إيثار، **إيثار رغبة أو رغبات،** والاكتفاء بإشباعها سعادة.

فهمّ الهندوسيّ، مثلا، الفناء في اللّه، وسعادة ارسطو في الحكمة، ويكفي أبيقورس قوامُ الجسد وراحة البال، وصحبة الاصدقاء، وخيار زينون مجاراة الطبيعة، ويكتفي الخيّام بالخمرة والمرأة، وابن سينا وليبنتز بما يلقيان في هذا العالم، ويطمح نيتشه الى التفوّق والسيادة، وألان الى العمل الحرّ المبدِع، وكامو الى التمرّد وما في لقاء الأجساد من نشوات.

www.alkottob.com

ونحاول تحديد صلة السعادة بالرغبة فنقول:

١- السعادة رغبة كلِّ انسان

كلّ انسان يشتهي السعادة، على ما يقول بسكال، يصبو اليها ويسعى، وإن تفاوتت الشهوة والسعي.

وهو، في سعيه هذا، لا يقنع بحدود، لا يُشبَع له جوع، أو يُروى ظمأ، على ما يقول القدّيس أوغسطينوس: "انّ قلبنا في قلق الى ان يجد راحته فيك، يا اللّه!"

٢- السعادة رغبة الرغبات

نتوخّى، في كلِّ ما نُقدِم عليه، أو نُحجِم عنه، سعادتنا، ولا نتوسّل بسعادتنا هدفًا أسمى.

السعادة غاية، غاية الغايات، وكلّ ما سواها وسائل اليها. هي الخير الأسمى، وكلّ خيرٍ آخر أدنى.

٣- السعادة إشباع رغبة

إن لم ترغب في شيء، وتُشبِع رغبتك، فلست تشعر بسعادة: أسمى سعادة ثمرة رغبات.

٤- نسبيّة الرغبات فالسعادة

ليست السعادة واحدة، نوعا معيّنا، صحنَ وليمة فاخرة نتسابق عليه، نحصل عليه أو لا نحصل.

الرغبات رغبات انسان، ولكلّ انسان قوى وأوضاع.

www.alkottob.com

لكلّ انسان حواسّه، وخياله، وشعوره، وعقله، وإرادته، وذوقه...، ولكلّ انسان وضعه العائليّ، والاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والسياسيّ، والدينيّ...

تتباين قوى البشر وأوضاعهم، تتباين وتتفاوت، وكذا رغباتهم والسعادات.

ورأفةٌ هذان التباين والتفاوت، لأنّهما يعدّدان أنواع السعادة، فيحدّان من عنف التنافس عليها والعداء.

٥- حدود الرغبات فالسعادة

تتعدّد رغباتنا فسعاداتنا، وكلّها محدود:

١- **حدودَ طبيعتنا**: فعقلنا محدود لا يعلم كلّ معلوم، أو يكشف كلّ مجهول، يتيه بين الظنّ واليقين، والضلال والهدى، والتقليد والإبداع...

وإرادتنا محدودة نؤثر العمل ونكسل، ندعو الى السلام ونعتدي، نعظّم من شأن العطاء ونبخل، نقدّر التسامح ونتعصّب، نطالب بالعدالة ونظلم، ندّعي نظافة الكفّ ونسرق، نُشيد بالعفّة ولا نعفّ...

وحواسنا محدودة فالعين لا ترى كلّ الألوان، والاذن لا تسمع كلّ الألحان، واللسان لا يذوق كلّ الطعوم، والأنف لا يشمّ كلّ الطيوب...

وشعورنا محدود إن نحبّ فإلى عمق ومدى، وان نفرح فإلى زمن...

www.alkottob.com

وخيالنا محدود، محدودُ الخَلقْ والاستيعاب...

٢- **وحدودَ الطبيعة:** غنى الطبيعة محدود فالتربة لا تجود بكلّ ما نحتاج اليه من ضروريّات العيش، والكوارث تقضي على ما تجني الأيدي، وفي الحيوان المفترس والسامّ، وفي الجراثيم ما يُمرِض ويقتل...

٣- **وحدودَ مستوى الرغبات:** لا يُسعِدنا إشباعُ أيّ رغبة، بل ما جلَّ قدْره، وعسرنيله، أو طال انتظاره.

ففي مجال العلم، مثلاً، لا تسعدنا أيّ معرفة، بل معرفة متفوّقة، اكتشاف علميّ، أو رؤيا فلسفيّة، أو ثقافة واسعة...

وفي باب الخير لا يُسعِدنا أيّ فعل، بل فعل بارز، التضحية بغوالٍ، مثلا، من أجل قضيّة... وتنتصر القضيّة!

وفي باب الشعور لا يسعدنا أيّ سرور، بل نشوة ترافق الفعل أو تعقبه...

سموّ الفعل وصعوبته، والتفوّق في انجازه، مقاييس قدرته على إسعادنا.

لا، ليست السعادة خبزنا اليوميّ، أو عِقدَ جيد ينتظر الحسناء في خزانة.

٤- **وحدودَ العمر:** وهبْك سعيت وتعبت، وهبْك راضيا عمّا أشبعت من رغبات محدودات، وسعادات عاديّات، أو فائقات، فكلّ ذلك الى زمن، والموت في المرصاد، وكلّ دنيويّ الى زمن.

www.alkottob.com

٧- الحالات الثلاث

يضلّ الباحثون في السعادة، قديمهم وحديثهم، إذ يحسبون السعادة والشقاء نقيضين، لا ضدّين[١].

لا، ليست السعادة نقيض الشقاء، ليس كلّ انسان سعيدا أو تعيسا، وعلى مدى العمر. لا يكفي أن تغيب عنك السعادة حتّى تكون شقيّا، أو أن يغيب الشقاء لكي تكون سعيدا.

ثلاثٌ حالات الانسان:

الأولى الحالة العاديّة، اليوميّة، الحالة الباهتة الحائرة، كبرى مساحات العمر. هذه الحالة ليست السعادة، وليست الشقاء، بل وضعٌ متراوح بينهما يدنو من السعادة ولا يبلغها، أو يلامس الشقاء، ولا يصبحه، أو يستقرّ وسطا استقرارَ الماء الفاتر ما بين الحارّ والبارد.

والحالة الثانية حالة السعادة، وهي حالة طارئة، شعورٌ مخمور، ورضىً ميسور، تحضر وتغيب، وقد لا نقدّرها حقَّ قدرها الاّ بعد زوالها... كزمان الوصل في الأندلسِ!

والحالة الثالثة حالة الشقاء، وهي حالة طارئة أيضا، حالة ألم وسخط، وقد تؤول الى عويل. وهي تحضر كذلك وتغيب، وشعورنا بها يصحبها، وقد يجوز زمانها.

ونسأل: ما نفعل في هذا الحالات الثلاث، ما الموقف المأثور:

---

(١) الأسود والأبيض ضدّان، أما الأسود وغير الأسود فنقيضان: كلّ لون أسود أو غير أسود.

www.alkottob.com

١- في الحالة العاديّة

على الانسان، في الوضع العاديّ، أن يكون راضيا، شاكرا لا ناقما، فما فضله على الحياة حتّى ينقم أو يشكو، وما حقوقه على اللّه حتّى يجدّف أو يحاسب؟

والانسان في الواقع قانع، راضٍ عمّا هو فيه، وان تمنّى، ونافس، وحسد: انّه راضٍ ما دام الشقاء لا يطرق بابه، أو يُعمِل فيه أنيابه.

٢- في حالة الساعي الى السعادة

على الانسان العاقل الحكيم:

- **أن يسعى الى سعادته:** السعادة غاية الحياة، شهوة طبيعيّة، فمن الحماقة التواني عمّا تتوخّاه الحياة، أو تصبو الطبيعة إليه.

لا يجوز الكسل، أو اليأس، وجبان من يقنط أو ينتحر.

الطموح، والسعي، والنجاح، والتفوّق... سبيل الى السعادة، وقلّما أتت اتفاقا، ومن باب الحظوظ.

- **أن يراعي طاقاته وأوضاعه:** قلنا انّ السعادة نسبيّة، متباينة ومتفاوتة، فعلى العاقل أن يعمل ما أُعِدّ له. عليه أن يراعي قواه، وأوضاعه، يختار ما اعدّته له طبيعته، وتعدّه ظروفه، ما يقدر عليه ويحبّه، وهو كثير ومتنوّع:

كنْ فنّانا، أو مفكّرا، أو فيلسوفا...

اعملْ في الزراعة، أو الصناعة، أو التجارة، أو السياسة... اعملْ وانجحْ!

www.alkottob.com

كنْ طبيبا، أو مهندسا، أو عالما في مختبر، أو محاميا، أو قاضيا...

كنْ رسولا يهدي الناس الى الخير، يهدي بالكلمة والقدوة...

اخترْ لعبة رياضيّة، احترفْها، أتقنْها وتفوَّقْ فيها...

ما أكثر الأعمال، وأكثرُها مجالٌ للنجاح، والهناء...

السعادة فنّ، ومن أعسر الفنون، فحاول التفوّق فيه: احذر الغرور بالنفس، أو الكسل، اخترْ أفضل ما تقدر عليه، ما أُعددتَ له، وأُعِدّ لك، وتفوّقْ فيه، تعشْ سعيدا، أو أسعد ما أنت عليه أقدر، وبه أجدر.

- **أن يقنع بسعادة محدودة:** رأينا أنّ السعادة محدودة، فحدودها تلك تقضي على طالبها أن يكون قنوعا، راضيا عمّا أشبع من رغبات، ويُشبِع، عمّا أُعطي ويُعطي.

عليه أن يقنع قناعة الواقعيّ العاجز، لا قناعة الكسول أو اليائس. عليه أن يقنع، بل أن يحمد اللّه على ما تجود به الحياة من مناسبات السعادة ينعم بها، ثمّ يختزنها زادا لأوقات الشقاء.

٣- في حال الشقاء

الشقاء تربُ السعادة، ثمنٌ لها، ولا اخال أحدا يبخل بالثمن، يرضى الحرمان من كلّ ما يُسعِد لقاءَ السلامة من كلِّ ما يُشقي.

الشقاء والسعادة توأمان، قدَرُ كلِّ انسان، وان لم تتساوَ كفّتا الميزان، فما وطِئ آدميٌّ هذه الأرض إلاّ وتناوبا عليه، فمن السذاجة توهّمنا القدرة على السلامة من كلّ ما يشقي.

www.alkottob.com

على أنّ للشقاء حدودا، وجدوى، وسياسة:

أوّلا – حدوده:

ما كلّ مُقلِق بمُشقٍ: ما ايّ فشل، أو صداع رأس، أو أوجاع ضرس، أو ايّ قبحٍ، أو هجر. الشقاء مستوى ومدى، وضعٌ لا يُطاق، ومدّة تطول، فلا تقابلْ أيّ بلوى بالشكوى، وأيَّ محزنٍ بالندب والعويل.

ثانيا: جدواه:

الألم ينفع، وإن أوجع.

انّه اختبار لأغوار، لما تختزن النفس من طاقات، وتخفي من أسرار، فتعلم ما كنت تجهل من نفسك، وتفهم ما يعانيه الآخر اذا ما صار في وضعك، فتضيف عمقا الى أعماقك، وغنى الى غناك.

وانّه اختبار لقدرتك على تحمّله، وتجاوزه، فاذا ما عاودك عاد أخفّ وقعا، ولقيته أقلَّ جزعا، فلم تبكِ كلَّ دموعك، ولا دموعك تسيل حرّى حرارةَ المرّة الأُولى.

وانّه منهل ورده شعراء وفنّانون، خبروه وطلعوا علينا بروائع ومفاتن، وأنت لا شكّ ذاكر ما قاله فرنسيٌّ شاعر:

"لا شيء يسمو بنا سموَّ تباريح الألم:
أيأسُ الأغاني أجملها،
وأعرف أغانيَّ خالدات
لسن سوى زفرات![1]

---

(١) من قصيدة (ليلة نوّار) للشاعر ألفريد دي مُوسَّى.

www.alkottob.com

ثالثا: سياسته:

وللشقاء سياسته، سبلُ الحؤول دونه، أو الحدّ من وطأته، أو تحدّيه.

- **فالحؤول** دون الشقاء التزام مبادئ في السلوك تسدّ عليه منافذ العبور، وهذه بعضها، أو أفعلها:

١- **التروّي:** لا تسرعْ في اتخاذ القرار، أو إبداء الرأي، تمهّلْ، دعْ ليلك يمرّ، بل دعْ اسبوعك، وشاورِ الأدرى منك، تسلمْ من أخطار الخفّة، والتسرّع، والندم... والألم! الرأي، على ما يقولُ المتنبي، "قبل شجاعة الشجعان"، وإخالك تحفظ مطلع لاميّة العجم للطغرائيّ: أصالة الرأي صانتني عن الخطل!

بل لا تُقدِمْ على قرار، أو عمل، وأنت في حالة غير عاديّة، في حالة غضب، أو حزن، أو خوف، أو يأس، أو مرض... بل انتظرْ عودتك الى وضعك العاديّ الهادئ السليم.

٢- **الاعتدال:** انتصحْ برأي أرسطو، اجعل من الاعتدال حكمة وعادة وفضيلة.

اعتدلْ في المأكل والمشرب، في الراحة والتعب، في النوم والسهر، في الإنفاق والإمساك، في التساهل والتشدّد، في التوحّد ولقاء الناس، في الزهد والطموح، في البساطة والأناقة، في التواضع والتعالي...

وكلّ اعتدال بالنسبة اليك، الى ما أنت، وما تملك يداك.

www.alkottob.com

٣- **النظام:** لا تستسلمْ للفوضى. حدّدْ، قدرَ الطاقة، أوقات الأكل، والعمل، والراحة، والنوم، ولقاء الناس... فهذا اقتصاد في الوقت، والوقت عمرُك!

ولا تستسلمْ للارتجال! انظرْ الى البعيد، خطّطْ للغد، وللعام الآتي، بل احسب لكلِّ عمر حسابه، ولكلِّ طارئ مخاطره.

الويل لمن يعيشون في فوضى، أفرادا وأمما، وفي يومهم العابر، لا يخضعون لضوابط في سلوكهم، ولا يخطّطون لغدهم ومصيرهم!

٤- **سعة الصدر:** سعة الصدر سياسة العقلاء، وقوامها اثنان:

الأوّل وعي حقوق الآخرين، والحرص على احترامها، وتفادي كلّ ما يؤذيهم، أو يحطّ من شأنهم. فهذا يقيك عداوات، ويكسبك احترام الناس.

والثاني التساهل، ضمن حدود معقولة، مع من يتطاول على حقوقك، فلا تطالبْ ولا تعاتبْ، وإن تفعل فبكثير من الفطنة واللطف. والصمتُ، أكثر الأحيان، أولى، والصفح من هذا الباب:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتبُ!

ولا تنسَ شعرة معاوية، إن يجذبها الآخَر أرخِها، وإن يُرخِها اجذبها، لكي لا تنقطع الصلات، ويخلفها الجفاء... والعداء.

٥- **الإحجام عمّا يضرّ:** ما يضرّ يُشقي، وقد يودي بالحياة، وهو كثير كثير، وأنت تعرف أكثره، وطبيبك به اعرف، ولا تستهنْ بما صار للطبّ من طَول وحَول.

www.alkottob.com

أحجمْ عن كلّ ما يضرّ، وشقيٌّ من تستعبده عادات، شهواتٌ وشراهات!

- **والحدّ من وطأة الشقاء**، اذا ما قسا وطال، لجوء الى ما يُسهِّل احتماله، ويسهّل عملٌ مريح، أو تذوّق فنّ، أو حقّ تعرفه وتوزّعه، أو حرارة أسرة، أو انس صداقة... وكلّ ما يتسنّى من نعم الحياة.

وأقدر ما يُسهّل **مثالٌ أعلى**، نضالٌ من أجل قضيّة، أو تسليم لمشيئة اللّه، الصبرُ على الألم، وإن يوميّا، والثواب سعادة الآخرة.

ولا ننصحُ بعزلة ابي العلاء فهي شقاء على شقاء.

- **أمّا تحدّي الشقاء**... فلماذا؟

لماذا يتحدّاه، يعايشه مدى الحياة، من غابت سعادته، وطمت تعاسته، لماذا يحرص على الحياة، مثلا، من مرض المرض العضال، ويعاني تباريح العذاب؟!

الواقع أنّ المتحدّين كثير، يعانون الشقاء المرير، يعانون ولا ينتحرون.

ويستحيل ذكر الأسباب، كلّ انواع الأسباب، التي تحدو بهم الى هذا التحدّي، أو ترد على ألسنتهم أسبابا.

ونختصر، نقتصر على من درسنا من فلاسفة وحكماء، فنرى لماذا تحدَّى بعضهم، أو ادّعى أنه تحدّى:

- **فالهندوسيّ** يقاسي شقاء الحياة، بل يزهد في مفاتنها، ويتحرّر من أهوائها، لأنّه يتوقّع سعادة الفناء في اللّه، والنجاة من تناسخات متجدّدة، وتجدّد الشقاء.

www.alkottob.com

– وليس الأمر كذلك بالنسبة الى **بوذا**، فالأمير الهارب من ولائم القصور الى صدقات المارّة على الدروب، يتحدّى الشقاء البشريّ، يساويه بالهناء، فلا يبقى شقاء! والسؤال: هل هذه المساواة من الممكنات، وهل البوذيّون يساوون؟!

– ونصل الى **المعرّي**، الى الفقير الضرير الوحيد، الذي يؤثر ضجعة الموت على سهاد العيش، ولكنّه يحجم عن الانتحار، لأنه "يخشى غوائل السبيل، وقدومه عن الجبّار"، يخشى عقاب اللّه.

– أمّا عذاب الرغبات، والضجر الذي يعقب ما يُشبَع منها، فلا نحسبه شقاء فادحا، وسببا كافيا لحمل **شوبنهور** على الانتحار.

– ويستوقفنا **كامو**، الذي يُحجم عن الخلاص من عبثيّة الحياة بالانتحار، يُحجم:

لأنّ الانتحار استسلامٌ للعبثيّة، شرٌّ على شرّ، ونحيا ليصبح للحياة معنى،

ولأنّ الحياة عزيزة على الانسان،

ولأنّ للحياة سعادتَها، عناقَ جسدين!

نستخلص ممّا تقدّم أن ثمّة سببن حقيقيين لتحدّي الانسان الشقاء وهما:

حب الحياة، نزوع كلِّ حيّ الى بقائه نزوعا فطريّا وجوديّا،

والايمان باللّه والآخرة، بعقاب المنتحر، وثواب الصابر على آلام الحياة.

يتحدّى الانسان الشقاء، يعانيه مدى العمر، حرصا على الحياة، يدفع ثمنها، ثمنَ كلِّ الغوالي!

www.alkottob.com

ويتحدّاه المؤمن، يصبر عليه، يعانيه مدى العمر أيضا خشية معاناته مدى الأبد، بل هو يرجو لقاء تحدّيه ثوابَ اللّه العادل.

حبّ الحياة والإيمان باللّه والآخرة سببا تحدّي الشقاء. وما يُذكَرُ غير ذلك من أسبابٍ ذرائعُ، إيهامُ الناس، أو توهّمُ المتحدّي.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

سألناك، في مقدّمة هذا البحث، هل أنت سعيد في دنياك، ووعدناك بجواب.

وسألنا فلاسفة وحكماء، سألنا ثلاثة عشر، وسألنا انفسنا ايضا، واتّضحت لنا مقدّمات ونتائج:

فالمقدّمات:

١- أنّ هذا العالم محدود ناقص، ومنه انسانُه، وسعادةُ هذا الانسان.

٢- أنّ وجودَ محدودٍ ناقص خيرٌ من عدمه، وبالتالي وجود الانسان وسعادته.

٣- أنّ السعادة رغبة كلِّ انسان، غاية غاياته.

٤- وأنّ هذه السعادة نسبيّة: متباينة تباين طاقات الانسان وأوضاعه، متفاوتة تفاوتها.

٥- أنّ سعادةَ الرجل بالمرأة سعادةُ كلِّ الرجال والنساء، ولكنّها، على خلاف ما يُوهم عنوان الكتاب، ليست كلّ السعادة، ولا هي خالية من الشقاء: **السعادة امرأة، لا كلّ السعادة، ولا كلّ امرأة، ولا كلّ ما في المرأة.**

٦- أنّ الشقاء واقع الانسان، ونسبيّ ايضا.

٧- أنّ بين السعادة والشقاء مساحة من العمر، **مساحة كبرى**، لا هي السعادة، ولا هي الشقاء، بل مراوحة بينهما.

www.alkottob.com

والنتائج:

أنّ على الانسان:

١- أن يؤمن بوجود السعادة، وأن يتبيّن سعادته النسبيّة فيؤثرها بسعيه، كلِّ سعيه.

٢- أن يقنع بسعادة ناقصة، بما يقدر عليه، لا بما يحلم به: أفقٌ سعادةٌ دنيويّة تامّة، ومن حطَّ يوما في أفق؟!

٣- ألاّ يستهين بمساحة العمر الكبرى، المساحة الحائرة ما بين السعادة والشقاء، فهي مساحة غالية، خالية من عناء الشقاء، ومتاعب السعادة، وبيدنا أن نجعلها الى السعادة أدنى.

هذه المساحة هي في الحقيقة الحياة، صفوة الحياة، وما السعادة والشقاء سوى عرَضين، وميضَي برق عابر[1].

٤- ألاّ يغفل عن شقاء الحياة،

دون أن يضخّم منه تضخيم المتشائمين،

أو يجهل جدوى اختباره،

أو يُهمِل التصدّي لأسبابه، وأنجعَ الوسائل للقضاء عليه، أو الحدّ من وطأته،

أو يخشاه، اذا ما استفحل واستعصى، فلا يتحدّاه.

---

(١) ما يصحّ بالنسبة الى السعادة والشقاء، والمساحة الكبرى القائمة بينهما، يكاد يكون قانونا، فهو يصحّ بالنسبة الى الذكاء والغباء، والأغنياء والفقراء، والأسخياء والبخلاء، والمجتهدين والكسالى، والصامتين والثرثارين...: الطرفان أقلّيان، والوسط أكثريّة.

www.alkottob.com

هذه مقدّمات ونتائج، جواب وعدناك به، حلٌّ لمشكلة السعادة، فلا تستهنْ بالحلّ، أو تستسهلْه، وإن بدا لك سهلا.

وأخطر ما فيه ثلاث:

أوّلا: إيثار المرحلة الحائرة ما بين السعادة والشقاء، وهذا أمرٌ فات كلَّ من تصدَّى لموضوع السعادة.

ثانيا: الإيمان بالحياة، بأنّها جديرة بأن تُعاش، أيّاً تكن مصاعبها، فلا نحدّ من أيّامها، غير آبهين للخسارة، ولعواقب الحدّ.

ثالثا: الإيمان بالسعادة، فلا نكفر بوجودها، أو نكسل عن السعي اليها، أو نصدّق أنّ هذا السعي يدفع بها الى الهرب منّا، نصدّق مقولة نيتشه وألان وغيرهما، لا:

ليست السعادة امرأة!

www.alkottob.com

www.alkottob.com

الأسماط اليوغيّة
الأوبنيشادات اليوغيّة
نشيد المولى

Walpola Rahula: L'Enseignement du Bouddha

Karl Yaspers: Le Bouddha

أرسطو: الأخلاق الى نيقوماخوس
ابيقورس: كلمات
ابّقتاتوس: ملخّص

Jean Brun: Le Stoïcisme, l'Epicurisme

Jean Moreau : Stoïcisme, Epicurisme

المعرّي: اللزوميّات
الخيّام: الرباعيّات
ابن سينا: إلهيّات الشفاء.

Leibniz: Essais de Théodicée

Schopenhauer - Le Monde comme volonté et représentation
- Aphorismes sur la Sagesse dans l'exixtence

نيتشه: كذا تكلّم زرادشت (تعريب المؤلّف)
العلم الجذلان

Alain : Propos d'Alain

Camus: Le Mythe de Sisyphe
- L'homme révolté
- L'Etranger

Les quatre fleures (23-24): le Bonheur

Philippe vanden Besch: La philisophie et le bonheur

Emile Bréhier - Histoire de la philosophie

Albert Rivaud - Histoire de la philosophie

www.alkottob.com

ظهر للمؤلّف

١- أصول الفلسفة العربيّة

٢- فلاسفة العرب (سلسلة من ١٠ أجزاء)

٣- الفلسفة العربيّة في كبرى قضاياها

٤- حوارات

٥- ما أمسي وما غدي؟

٦- أفياء

٧- الزمان ذلك النحّات

٨- نيتشه، نبيّ المتفوّق

٩- غاندي، رسول اللاعنف

١٠- جبران في الميزان

١١- الهند ان شدت وهدت (اليوغا - بوذا - نشيد المولى - كاليداسا - كبير - راماكريشنا - طاغور - غاندي)

١٢- جبران ونيتشه

١٣- فكّر معي

١٤- في الثقافة وثقافة لبنان

١٥- الانجيل وأعمال الرسل (تعريب)

١٦- نشيد الاناشيد (تعريب)

www.alkottob.com

المحتوى

مدخل ٥
الهندوسي ٧
بوذا ٢٥
ارسطو ٣٥
ابيقورس ٤٥
زينون الصوريّ ٥٥
ابو العلاء المعرّي ٧١
الخيّام ٨٧
ابن سينا وليبنتز ١٠٣
شوبنهور ١١٥
نيتشه ١٣٥
ألان ١٥٣
كامو ١٦٣
وماذا بعد؟ : ١٨١
- دور اللّه في السعادة والشقاء ١٨٣
- دور المرأة فيهما ١٨٩
- دور المال ١٩٦
- دور رغباتنا ١٩٩
مقدّمات ونتائج ٢١٣
مصادر ومراجع ٢١٧
ظهر للمؤلّف ٢١٨

www.alkottob.com

مطبعة انطون روحانا الشمالي
درعون – لبنان

www.alkottob.com